جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية
الفرع: تاريخ
التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالبتن:
عون يسرى
أفرن مروة

يوم:07/07 /2021

الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1844-1954م.

لجنة المناقشة:

الصادق عبد المالك	جامعة حمد خيضر –بسكرة–	رئيسا
حاجي فاتح	جامعة محمد خيضر –بسكرة–	مشرفا
صدراتة فضيلة	جامعة حمد خيضر –بسكرة–	ممتحنا

السنة الجامعية:2020 /2021

فهرس المحتويات

الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال الاحتلال الفرنسي 1844-1954م	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-ح
الفصل الأول: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان	**9-55**
تمهيـــد	10
أولا: أوضاع منطقة الزيبان قبيل الاحتلال الفرنسي	11-27
1- الاوضاع السياسية	11-15
2- الاوضاع الاقتصادية	15-20
3- الاوضاع الاجتماعية	20-23
4- الاوضاع الثقافية	23-27
ثانيا: احتلال منطقة الزيبان ورد فعل السكان عليه	28-38
1-سقوط منطقة الزيبان 4 مارس 1844	28-31
2- رد فعل سكان منطقة الزيبان من الاحتلال	31-38
ثالثا: المقاومة الشعبية في منطقة الزيبان (1849-1859)	39-55
1-مقاومة الزعاطشة	39-44
2-ثورة عبد الحفيظ الخنقي	44-47
3- مقاومة الصادق بالحاج	48-55
الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي	**56-82**

تمهيـــد	57
أولا: النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان	68-58
1-الزراعة	64-58
2- الري	66-64
3- تربية المواشي	68-67
ثانيا: النشاط الحرفي في منطقة الزيبان	75-69
1-صناعة النسيج	71-69
2- الصناعة الخزفية والفخارية	72
3- صناعة الجلود	73-72
4- حرفة الحدادة	73
5- صناعات أخرى	75-73
ثالثا: النشاط التجاري في منطقة الزيبان	82-76
1-التجارة المحلية	81-76
2- التجارة الخارجية	82-81
الفصل الثالث:الحياة الاجتماعية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي	**130-83**
تمهيـــــد	84
أولا: التركيبة الاجتماعية في منطقة الزيبان	98-85
1-الفئات الاجتماعية	88-85
2- النظام الاجتماعي	90-88
3- المرأة والرجل والدور الاجتماعي لكل منهما	93-90
4- القيم الاجتماعية	98-93
ثانيا:العادات والتقاليد في منطقة الزيبان	130-99
1-الاحتفالات والمناسبات الدينية	104-99
2- الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية	113-104

3- الأنشطة والممارسات اليومية	130-113
الفصل الرابع: الحياة الثقافية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي	173-131
تمهيـــــد	132
أولا: التعليم في منطقة الزيبان	142-133
1-التعليم العربي	141-133
2- التعليم الفرنسي	142-141
ثانيا: العمران في منطقة الزيبان	153-143
1-العمارة التقليدية في الزيبان	148-143
2- العمارة الحديثة (الفرنسية) في الزيبان	153-148
ثالثا: الفنون في منطقة الزيبان	173-154
1-الفنون الشعبية	167-154
2- الفنون الأخرى	173-167
الخاتمة	176-174
الملاحق	184-178
قائمة المصادر والمراجع	211-185
الملخص	212

إهداء

إلى أبي العطوف قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة فهو من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ.

"أفرن مروة "

إلى أبي الذي فارقني بجسده لكن روحه ما زالت ترفرف في سماء حياتي. "عون يسرى"

وإلى الوالدة الحنونة التي لا أجد كلمات تمنحها حقها فهي فرحة العمر ومثال للتفاني والعطاء.

إلى إخوتي وأخواتي سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني.

إلى جموع الأقارب و الأصدقاء.

إلى جميع الباحثين وطلبة العلم والى دفعة التاريخ 2021م.

الى روح أستاذنا الفاضل موجهنا على مقاعد الدراسة الأستاذ "نصر الدين مصمودي" رحمة الله عليه.

إلى كل من دعا لنا بالخير.

إلى كل هؤلاء وغيرهم كثير أهدي هذا العمل المتواضع سائلا الله القبول والثواب

شكر وعرفان

لقد بذلنا في إعداد هذا البحث ما استطعنا من جهد ووقت وعنايتنا أن يكون وفيا خالصا لوجه الله تعالى راجين منه الأجر.

وامتثالا لقوله تعالى:

" *رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ*" (النمل/ الآية:19)

فإننا نحمد الله أن تم نعمته علينا بإكمال هذا البحث ويسره لنا فله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا.

كما يسعدنا أن نقدم أسمى آيات الشكر والعرفان لكل الذين ساعدونا في انجاز هذا البحث

ونخص بالذكر أستاذنا المشرف فاتح حاجي على ما أسداه لنا من نصائح وتوجيهات قيمة كانت لنا عونا وسندا لانجاز هذه المذكرة فله منّا كل التقدير والاحترام.

دون أن ننسى الأساتذة بوكر زيدان، فريح لخميسي، الصادق بوطارفة فلهم جزيل الشكر على توجيههم لنا أثناء البحث.

كما نتقدم بالشكر للأصدقاء والطلبة الذين شجعونا وساعدونا على دراسة هذا البحث، نخص بالذكر الصديقة إخلاص علاّق.

كما لا ننسى أن نتقدم بعظيم شكرنا وامتنانا للوالدين الكريمين اللذين كانا الدافع الأول لصعود سلم النجاح.

قائمة المختصرات بالعربية والأجنبية:

تح: تحقيق	دط: دون طبعة
تر: ترجمة	ع: عدد
ج: جزء	م: ميلادي
ص: صفحة	هـ: هجري
د. س. ن: دون سنة نشر	مج: مجلد
د. ب. ن: دون بلد نشر	P: page
Op-cit :operato citata	نفس المرجع والمؤلف:ibid

مقدمة

لا يزال البحث في تاريخ الجزائر المحلي يفتح أفاقا واسعة أمام الباحثين الجزائريين خاصة المواضيع المتعلقة بالمناطق الصحراوية، فهي لم تحظ بنصيب وافر من الدراسات التي تهتم بالإنسان وتفاعلاته اليومية المختلفة، ولا يجب أن نفهم من هذا أن البحث في التاريخ المحلي يعد سبيلا سهلا إنما هو مسلك صعب يفرض على الباحث تحاشي السطحية والانجراف وراء توجه الكتابات الأجنبية التي تعد مصدر مرجعي في ظل قلة الكتابات الوطنية المتعلقة بالمناطق الصحراوية، ونخص بذلك منطقة الزيبان التي مر عبر تاريخها العديد من الشعوب والأجناس باختلاف ثقافاتهم مما خلق تمازج حضاري بينهم، حيث تشكلت طبيعة اجتماعية وثقافية متنوعة نتجت عن التفاعلات اليومية بين عناصر المجتمع، وتضمنت كل الممارسات من عادات الطبخ والثياب إلى الطب والرياضة والعمران وإلى الكثير من التراث الأدبي والفني الذي يتضمن الشعر والأمثال والروايات وغيرها، حيث أصبحت المرتكز الأساسي الذي يبنى حوله التفكير الاجتماعي، فارتسمت معالمه في الكثير من التعابير والممارسات التي لا يستغني عنها هذا المجتمع مما أثرى السجل التاريخي المحلي للمنطقة وهذا التنوع راجع لعدة عوامل، منها تعرضها للعديد من الأحداث والتطورات التي شهدتها عبر حقب تاريخها الطويل منذ القديم إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها سنة 1844م، وضمن هذا السياق التاريخي جاء عنوان موضوعنا الموسوم بـ"الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال الاحتلال الفرنسي 1844- 1954" كموضوع دراسة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن حصرها في أسباب موضوعية وأخرى ذاتية شخصية وهي كالأتي:

1- قلة الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع مما ترك فرصة للبعض من غير التخصص الخوض بارتجالية في وصف أحداث تاريخية تفتقر إلى قواعد منهجية البحث التاريخي.

2- محاولة سد الثغرات التاريخية التي لم يتطرق لها الباحثون، كون أغلب الدراسات تناولت الاستعمار الفرنسي في الصحراء وركزت على أساليب المقاومة، وأهملت جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي.

3- رغبتنا الشخصية الملحة لدراسة التاريخ المحلي، والوصول إلى تحقيق الهدف العلمي الذي يقدم تاريخ المنطقة بعيدا عن العاطفة.

ويجدر بنا التوضيح هنا إلى أن حديثنا عن منطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية، يخص منطقة الزيبان مابين 1844- 1954م وليس الحديث عن بسكرة كولاية حاليا.

أهمية الدراسة وأهدافها:

- إن تتبع مسار تاريخ منطقة الزيبان منذ الاحتلال الفرنسي لها سنة 1844م إلى غاية اندلاع الثورة سنة 1954م واستعراض أهم مظاهر الحياة اليومية لسكان منطقة الزيبان له أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية المعاصرة، كونه يقدم لنا صورة عن الحياة ونشاطات

سكان المنطقة، مما تكتسي هذه الدراسة أهمية من حيث سد الفراغ في جوانب عديدة كانت مغيبة

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- إثراء المكتبة الجزائرية بكتابات متخصصة حول تاريخ منطقة الزيبان.
- حفظ على الميراث الثقافي لمنطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية من بين (1844-1954).
- التعرف على أهم النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كان يمارسها سكان منطقة الزيبان.
- المساهمة في كتابة تاريخ منطقة الزيبان بنظرة موضوعية وطنية.

الإشكاليـــــة:

من خلال دراستنا هذه والموسومة بـ"الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1844-1954" التي تعالج مسألة الحياة اليومية في إقليم الزيبان في بعض تفاصيلها ومحاولة ربطها بالبيئة الطبيعية في المنطقة من جهة وكشف مدى تأثرها بالاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، وهي الإشكالية التي تنطوي تحتها جملة من التساؤلات التالية التي سنحاول من خلالها أن نصل إلى بعض الإجابات محاولة منا بلوغ نوع من المعرفة لما كانت عليه المنطقة خلال تلك الفترة:

- كيف كانت أوضاع منطقة الزيبان قبيل الاحتلال الفرنسي؟

- ما هي مجريات عملية الاحتلال الفرنسي؟ وكيف كان رد فعل السكان عليه؟
- فيما تتمثل مظاهر النشاطات الاقتصادية اليومية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1844-1954؟
- ما طبيعة الحياة الاجتماعية لسكان منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1844-1954؟
- بما تميزت الحياة الثقافية في منطقة الزيبان خلال الفترة الممتدة ما بين 1844-1954؟

المنهج المعتمد:

إن طبيعة الدراسة التي تم التطرق فيها للحياة اليومية بمنطقة الزيبان خلال الاحتلال الفرنسي من1844-1954م تطلبت الاعتماد على:

المنهج التاريخي الوصفي من خلال عرض ووصف الحوادث التاريخية التي عاشتها منطقة الزيبان بتسلسلها الزمني من احتلالها إلى غاية المقاومات الشعبية التي خاضتها المنطقة ضد الاستعمار، بالإضافة إلى وصف مظاهر الحياة اليومية لمنطقة الزيبان وذلك من خلال تقديم مقاربات موضوعاتية لها.

خطة الدراسة:

قسم العمل إلى أربعة فصول وأردفناها بخاتمة ومجموعة من الملاحق التوضيحية التي لها علاقة مباشرة بالمتن.

الفصل الأول تم التطرق فيه إلى الاحتلال الفرنسي للزيبان سنة1844م والذي بدأ التخطيط له مع سقوط قسنطينة عام1837م وفرار أحمد باي إلى المنطقة وقد بدأنا بذكر أوضاع الزيبان قبيل الاحتلال الفرنسي وما ميزها من الصراعات العائلية حول المشيخة بين بن قانة وأولاد بوعكاز والتي تطورت إلى حد التحالف مع المستعمر الفرنسي، ثم تم التحدث عن سقوط منطقة الزيبان في يد الفرنسيين يوم 4 مارس1844م وفيه نوضح الحملة الفرنسية التي كانت بقيادة العقيد بوتافاكوButtafaco، كما تعرضنا لردود الأفعال الأولية حول احتلال منطقة الزيبان والمتمثل في معركة مشونش في 15 مارس 1844 ثم معركة بسكرة في ماي1844م، بعدها تم التطرق إلى نماذج عن المقاومة الشعبية لأهالي منطقة الزيبان ضد المستعمر وذلك لتعددها فالغوص فيها قد ينسينا حقيقة موضوعنا إلا أن هذا لم يمنعنا من الإشارة إلى بعضها وهي كالتالي مقاومة الزعاطشة، مقاومة الخنقي ومقاومة الصادق بن الحاج.

أما الفصل الثاني فخصص لدراسة الحياة الاقتصادية في منطقة الزيبان بالفترة الممتدة بين(1844م-1954م)، وفيه تم الحديث عن النشاط الفلاحي مركزين على أهم المنتوجات الفلاحية التي كانت تزرع بالمنطقة التي كان أشهرها النخيل، بعدها تم التطرق إلى النشاط الحرفي فعرض فيه أهم الصناعات والحرف التي كان يحترفها أهالي المنطقة والمتميزة بالطابع التقليدي والبسيط، وفي الأخير تم الحديث عن النشاط التجاري لمنطقة الزيبان أين تم الحديث عن الأسواق والمراكز التجارية بالمنطقة وأهم ما يباع ويشترى فيها.

أما الفصل الثالث فقد خصص للحديث عن الحياة الاجتماعية في منطقة الزيبان بالفترة الممتدة (1844-1954)، وفيه تم الحديث عن التركيبة الاجتماعية، ذلك من خلال ذكر الفئات الاجتماعية وبعض الإحصاءات لتعداد السكان في المنطقة، بالإضافة إلى النظام الاجتماعي الذي كان سائدا خلال هذه الفترة، وعن الدور الاجتماعي للمرأة والرجل وأهم القيم الاجتماعية لسكان الزيبان، وتم الحديث عن عادات وتقاليد هذا المجتمع من احتفالات دينية ومناسبات وممارسات اليومية.

وجاء الفصل الرابع والأخير لدراسة الحياة الثقافية في منطقة الزيبان من نفس الفترة المذكورة سابقا، وقد شمل طرق التعليم وكيفياته، بالإضافة إلى وصف العمران بمنطقة الزيبان وكيف كان طابعه، وفي الأخير تم عرض الفنون الشعبية بالزيبان من موسيقى ورقص و شعر...إلخ.

وانتهت الدراسة بخاتمة و التي كانت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها.

المصادر والمراجع المعتمدة:

تم الاعتماد على مجموعة من المراجع أهمها:

أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي خاصة الأجزاء(الأول، الثالث، الخامس) بالإضافة إلى مؤلف محمد العربي حرز الله المعنون بالظاهرة الثقافية في سيدي خالد إبان الاحتلال الفرنسي، الذي أفادنا في دراسة بعض الجوانب المتعلقة بالبحث وذلك بتناوله التاريخ المحلي للمنطقة.

ولم تخلُ دراستنا من المصادر الأجنبية نذكر أهمها:

Félix Hautfort, Au pays des palmes Biskra, 1897.

والذي وصف في تقريره بشكل مفصل كل مظاهر حياة الفرد الزيباني، بالإضافة إلى:

S.H.Leeder, The Desert Gateway, Biskra and theabouts, London, 1910.

وهو رحالة إنجليزي ركز على يوميات ونمط عيش الفرد الزيباني بالخصوص الجانب الأخلاقي وفيما يتعلق بالدين الإسلامي.

كذلك تم الاعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة التي غطت بعض من جوانب البحث نذكر منها:

رسالة ماجستير لشهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، كذلك أطروحة لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصاتها ومسارها) 1914-1956.

كما تم الاعتماد على المجلة الخلدونية التي تم تأسيسها سنة 1997، وتكمن أهمية هذا المرجع في اهتمامه بالتاريخ والتراث المحلي والوطني، وتم توظيفها في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية لمنطقة الزيبان.

بالإضافة إلى بعض الملتقيات الوطنية التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

صعوبات الدراسة:

إن انجاز هذا العمل ما كان ليتم دون أن تعترضه صعوبات كان لها أثرها البيّن على المحتوى، ومن جملة ذلك ما يرتبط دائما بمثل هذه المواضيع وهو قلة المراجع الأكاديمية، فالمراجع القليلة التي تتناول الحياة اليومية في منطقة الزيبان بإيجاز شديد هي إما مقالات أو كتب لرحالة أوروبيين، كذلك صعوبة التوفيق بين سعة الموضوع وخشية التقصير في حقه من جهة والمدة المحددة لإنجاز المذكرة من جهة أخرى، لذلك كانت هذه محاولة للتوفيق بين الناحيتين، بالإضافة إلى صعوبة ترجمة كتب اللغة الأجنبية حيث تتطلب المزيد من الجهد والوقت.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أن ذلك لم يقلل عزيمتنا في هذا البحث فبعون الله وتوفيقه اجتزناها بصبر جميل، ولا ندعي بأن هذه الدراسة قد استوفينا حقها من البحث والتحليل، فما قمنا به هو اجتهاد متواضع لعل وعسى يكون بمثابة خطوة علمية نحو الاهتمام بتاريخ منطقة الزيبان خاصة في شقه الاقتصادي والاجتماعي، راجين من الله تعالى أن يلقى هذا العمل القبول والسداد والله وراء القصد.

الفصل الأول: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان.

أولا : أوضاع منطقة الزيبان قبيل الاحتلال الفرنسي.

ثانيا: احتلال منطقة الزيبان ورد فعل سكان .

ثالثا: المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان(1849-1859).

تمهيـــد:

تعتبر منطقة الزيبان كغيرها من مناطق التراب الجزائري مسرحا للعديد من الأحداث التي كانت ضد المستعمر الفرنسي، فبحكم موقعها الجغرافي الذي يعد بوابة الصحراء ومعبر مهم نحو الجنوب الجزائري جعلها محط أنظار المحتل واهتمامه فعمل جاهدا للسيطرة عليها مما يسمح له التغلغل داخل الصحراء الجزائرية والاستيلاء على مناطق أكثر، لهذا أعد المستعمر الفرنسي كل الخطط واستعمل كل الطرق والوسائل وجهز قواته لتحقيق هذا الهدف.

أرسل المستعمر الفرنسي حملات عسكرية إلى الزيبان لتطويقه والسيطرة عليه، مستغلا الأوضاع التي كانت تعيشها المنطقة في مختلف الجوانب، لكن سكانها قاوموا بكل ما أوتي لهم من قوة وإمكانيات ملتفين حول زعامات رسمية تارة وشعبية تارة أخرى ومن هذه المقاومات "مقاومة الزعاطشة 1849م، مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي1849م، مقاومة الصادق بن لحاج 1858م، وغيرها من المقاومات التي أبدت ومنذ اللحظة الأولى رفضا قاطعا للاحتلال، وهذا ما سيتطرق إليه في هذا الفصل.

أولا: أوضاع منطقة الزيبان قبيل الاحتلال الفرنسي.

1- الأوضاع السياسية:

بعد احتلال مدينة الجزائر عاصمة البلاد وتوقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام في5 جويلية1830، وسقوط مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق في 1837، وانسحاب أحمد باي نحو الجنوب، أصبحت الزيبان(انظر الملحق رقم1) الهدف الاستعماري الموالي[1]وذلك من أجل إلقاء القبض على أحمد باي، واحتلال الزيبان والأوراس في إطار تأمين المسالك الاستعمارية نحو الجنوب[2].

قام أحمد باي بتولية خاله بوعزيز بن قانة منصب شيخ العرب[3]، وأصبحت المشيخة بيد عائلة بن قانة[4]، بعد أن كانت في يد عائلة بوعكاز[5] في فترة الحكم العثماني، مما دفع

---

[1] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1999، ص، ص 139، 140.

[2] يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999م، ص 65.

[3] **شيخ العرب:** لفضة الشيخ تعني شيخ القبيلة أو زعيم ورئيس القبيلة التي يدير شؤونها، والذي يشترط أن يكون ذو مكانة كبيرة ومن أسرة ذات نفوذ وجاه، ظهر هذا المنصب في العهد العثماني منذ سنة (947هـ / 1541م). **أنظر:** إبراهيم زكي خورشيد، دار المعارف الإسلامية، مج13، ص 468.

[4] **بن قانة:** تعود أصولهم إلى سلمان بن قانة وكان حدادا ، وترجع تسميتهم إلى جدتهم قانة وتقيم في جبل كوكو بالجرجرة وتولوا مشيخة العرب في زمن أحمد باي .**أنظر:** جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون (الجزائر)، ص 80.

[5] **بوعكاز:** تعود جذور عائلة بوعكاز إلى جدهم علي بن الصخري الذواودي، بوعكاز من عرش الذواودة، ولقبو بوعكاز لأن جدهم كان يستخدم العصا دائما(العكاز)، وقد كانت مشيخة العرب في عائلتهم إلى غاية فرحات بن السعيد. **أنظر:** موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900،1939)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2006م، ص22.

فرحات بن سعيد إلى معاداة أحمد باي[1]، وعندما كانت المدينة تتجهز لمواجهة الغزو الفرنسي أرسل الداي حسين للباي أحمد يطلب منه القدوم بجنوده لمواجهة العدو، وأثناء غيابه استغل معارضوه بقيادة فرحات بن سعيد "زعيم عائلة بوعكاز" الفرصة للاستيلاء على منطقة الزيبان، في المقابل كانت أطماع بوعزيز بن قانة في إخضاع منطقة الزيبان كلها تزداد خاصة بعد سقوط قسنطينة1837م، حيث أقنع أحمد باي بالتوجه إلى الصحراء وقتال فرحات بن سعيد لإخضاع الزيبان وجعلها قاعدة لاستعادة قسنطينة[2].

فامتثل أحمد باي لرأي خاله الانتهازي وقام بمحاربة فرحات بن السعيد الذي كان يحكم بسكرة وأزاحه من الحكم لتحقيق أغراض عائلية في الجنوب، بدلا من محاربة الفرنسيين في الشمال[3]، وقد كان يهدف بوعزيز بن قانة من وراء إحضاره إلى الصحراء للاستيلاء على أمواله، خوفا من سيطرة فرحات بن سعيد على المنطقة[4].

كان الصراع بين العائلتين قائما في الزيبان وازدادت حدته مع الاحتلال رغم أن هذا الصراع يعود إلى فترة الحكم العثماني خاصة بعد نقل المشيخة من عائلة بوعكاز إلى عائلة

---

[1] حنيفي هيلالي، الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني، **مجلة كان التاريخية**، السنة الثانية عشر، ع 46، ديسمبر 2019 ، ص 99.

[2] لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية اتجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان 1830-1844، **المجلة التاريخية الجزائرية** ، ع05، ديسمبر 2017، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص- ص 96-97.

[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830إلى 1989، دار المعرفة للنشر، باب الوادي (الجزائر)، (د.س.ن)، ج 1، ص 114.

[4] شهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص 19.

بن قانة مع بداية حكم أحمد باي لبايلك الشرق وذلك لصلة القرابة بين هاذين الأخيرين[1]، وفي ظل هذه الاضطرابات استمال الفرنسيون فرحات بن السعيد لصالحهم للقضاء على أحمد باي[2]، حيث تطورت إلى حد القتال على غرار معركة الجازية في 1831م التي انتصر فيها أحمد باي وآل بن قانة على فرحات بن السعيد وآل بوعكاز[3]، ومعركة الحزيمة التي انتصر فيها فرحات بن السعيد في1831م، ومعركة الصحيرة التي هزم فيها أيضا فرحات بن السعيد[4].

وقد تحول الصراع في كثير من الأوجه إلى تنافس بين كل من بوعزيز بن قانة وفرحات بن السعيد من جهة والأمير عبد القادر وأحمد باي من جهة أخرى[5].

حيث كان الاحتلال الفرنسي يغذي هذا الصراع كونه المستفيد الأول منه على حساب توحيد جهود المنطقة، فقد بادر فرحات بن السعيد بالاتصال بحاكم الجزائر دي

---

[1] المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، موسوعة أعلام الجزائر1830-1954، طبعة وزارة المجاهدين، 2007 م، ص 280.

[2] بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة (1830-1848)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 30.

[3] المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص 280.

[4] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته وجهاده، ابن خلدون للنشر، تلمسان (الجزائر)، 2002م، ص 83.

[5] محمد بن الأمير عبد القادر الحسيني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص- ص119-120.

روفيغو Anne Jean Marie René Savary[1] عام 1832 م، الذي كان سببا في مأساة "قبيلة العوفية"سنة 1832م[2] التي تقطن في الجنوب الشرقي من مدينة الجزائر(حاليا بلدية الحراش)[3]، إلا أن الإدارة الفرنسية تخلت عنه وبدأت تبحث عن الشخصية الأقرب لأحمد باي وقد نجحت في ذلك، فاستمالت لصفها بن قانة في 1838م[4]، وفي المقابل انضم فرحات بن السعيد إلى الأمير عبد القادر لطرد أحمد باي من الزيبان، فوافق الأمير على ذلك وأرسل خليفة على المدية ابن البركاني الذي ضم الزيبان لدولة الأمير ونصب ابن عزوز خليفة على الزيبان بناء على أوامر الأمير الأمر الذي أغضب فرحات بن السعيد وجعله ينضم إلى الفرنسيين ولكنه كشف فسجنه الأمير[5].

---

[1] **دي روفيغو**: (1774،1833) كان وزيرا للشرطة قبل مجيئه للجزائر خلف برتزان، وحل بالجزائر في ديسمبر 1831م، تميز بالعنف ولذلك اشتدت المقاومة في زمانه، تولى السلطة بلقب القائد العام لفيلق احتلال إفريقية.**أنظر**: كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الإحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19 (شخصيات–أماكن –أحداث – معارك)، ألفا للوثائق للنشر والتوزيع ، قسنطينة (الجزائر)، 2020، ص 102.

[2] **مأساة قبيلة العوفية:** تعد من أولى المذابح التي ارتكبها الفرنسيون قادها الجنرال دي روفيغو، رفقة جنوده ضد الجزائريين ليلة 26 أفريل 1832 في حق قبيلة العوفية بمدينة الحراش التي أبيدت على آخرها، ولم يكتف الفرنسيون بالقتل دون تميز بين المرأة والرجل، بل نكل جنوده بالضحايا أبشع تنكيل **أنظر:** بوجردة مخلوف، الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م ، ص42.

[3] محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1973م، ص 84.

[4] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2009 م ، ص– ص 34–36.

[5] أديب حرب، التاريخ العسكري الإداري للأمير عبد القادر، ج1، دار الرائد للكتاب، بيروت 1990، ص– ص 20–24.

وهنا تحول الصراع بين بن قانة وخليفة الأمير عبد القادر حيث دارت بينهما معركة في 24 مارس 1840 تدعى سالمو انتصر فيها بن قانة على بن عزوز[1]، وبعد هذه الهزيمة قرر الأمير إعادة تولية فرحات بن السعيد بعد عزل أحمد بن عزوز الذي أخلص للأمير واستطاع مضايقة القبائل الموالية لعائلة بن قانة، وبقي كذلك إلى أن قتل على أيدي البوازيد في أولاد جلال في 1842 بإيعاز من بن قانة[2].

2_ الوضع الاقتصادي:

يعتبر بايلك الشرق[3] والذي يضم معه بطبيعة الحال منطقة الزيبان ذو مكانة اقتصادية هامة خلال الفترة العثمانية لأنه أكبر الأقاليم من حيث عدد السكان بالإضافة إلى نسبة الضرائب التي يدفعها فهي كبيرة نظرا لباقي الأقاليم[4]، وقد كان إقتصاد البايلك يرتكز أساسا على الفلاحة وتربية المواشي ثم النشاط التجاري والصناعة التقليدية التي كانت موردا لا بأس به[1].

---

[1] **بن عزوز:** وهي أسرة دينية ذات مكانة وشهرة في إقليم الزيبان، قدمت من الناحية الغربية و استقرت في واحة البرج قرب واحة بسكرة بحوالي خمسة أجيال. **أنظر:** يحي بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 219.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 24.

[3] **بايلك الشرق:** عاصمته قسنطينة، وهو يمثل وحدة جغرافية تنقسم إلى أربع تقسيمات كبرى لها طابع سياسي وإداري وهي: الشرق ويضم الأقاليم الممتدة من قسنطينة إلى الحدود التونسية، الغرب يضم الأقاليم الممتدة من قسنطينة إلى السلسلة الجبلية البيبان، الجنوب تعتبر الصحراء الجزء الأكثر أهمية، الشمال يضم الجبال المحاذية للبحر المتوسط من بونة إلى بجاية ويطلق عليه الساحل **أنظر:** أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية " من فالي إلى نابليون الثالث (1838-1871)، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2014 م، ص 14.

[4] المرجع نفسه ، ص 18.

2-1 الفلاحة:

يعتبر النشاط الفلاحي أهم نشاط اقتصادي كان سائدا في الشرق الجزائري فالغالبية العظمى (95%) من سكان الأرياف يمارسون هذا النشاط الذي تحكمت فيه طبيعة الملكية وكيفية استغلال الأرض، حيث تميزت أراضي البايلك بخصوبة الأرض وهذا ما يؤدي إلى توفر الإنتاج الفلاحي[2]، وقد شهد هذا المجال ازدهارا كبيرا بفضل الإصلاحات التي قام بها صالح باي[3] من خلال مشاريع لاستغلال السهول الخصبة[4] أما بالزيبان فقام بإصلاحات عدة فنجد أنه في نهاية القرن 18م دخل إلى مدينة بسكرة ومكث أشهرا فيها وكان كثير العمل والتنظيم أثناء إقامته بها، فقام بتنظيم وتقسيم الماء وذلك بمحضر العلماء و الفقهاء ومن بينهم خليفة بن الحسن القماري، الشيخ محمد المسعود الرماني، الشيخ بركات بن عبد الملك بن عبد المؤمن، الشيخ دبابش، وقسمة الماء هذه تعجب منها الكثير خاصة المهندسون الذين زاروا بسكرة[5].

---

[1] يحي بوعزيز، موضوعات في قضايا الجزائر و العرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص 74.

[2] عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيين الإداريين في إقليم الشرق الجزائري أرنست مارسيه نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص، ص 59، 65.

[3] **صالح باي:** صالح بن مصطفى أزميرلي ، ولد بمدينة أزمير (1137هـ /1725م) تركي الأصل حكم بايلك الشرق الجزائري ومدينة قسنطينة خاصة، تولى مقاليد السلطة 1772م، تعد فترة حكمه من أهم الفترات شهدت إزدهارا في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية. **أنظر:** طاهر عبد الحليم، حماية المنشآت المعمارية من التخريب والهدم وصيانتها (منشات صالح باي بالشرق الجزائري 1772م-1792 م نموذجا)، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.س.ن)، ص، ص 1603،1605.

[4] رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص 29.

[5] أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى للطباعة، الجزائر،2012م، ص- ص 8-9.

أما عن المنتوجات الفلاحية فكانت زراعة الحبوب من المزروعات الأساسية والمهمة في الزيبان كالقمح والشعير حيث تعتبر عصب الحياة الاقتصادية[1] بالإضافة إلى الحبوب.

كانت المنطقة تنتج محاصيل أخرى منها الخاصة بكل منطقة ومنها ما ينتج في الزيبان ككل، نذكر فلاحة الخضر التي اشتهرت بها الواحات الصحراوية نظرا لكثافة الموارد المائية فيها وأهم هذه الخضر "البصل والثوم واللفت والجزر، اللوبيا، السلطة والخيار، البطيخ، الدلاع، القصبر، النعناع"، وكثيرا ما يجمع الفلاحون بين فلاحة الحبوب والخضر والفواكه، إضافة إلى غرس الأشجار المثمرة بأنواعها كالتين والزيتون[2] ومثال على ذلك البستان العظيم الذي غرسه صالح باي بنفسه أثناء حلوله بالمنطقة، حيث زرع أميالا من الأراضي بأشجار الزيتون وأشجارا أخرى مثمرة وهو المعروف اليوم بحوزة الباي[3].

وكانت زراعة النخيل تعد هي الأخرى من مصادر ثراء الزيبان فواحة بسكرة وحدها كان بها 113109 نخلة سنة 1844م[4]، بالإضافة إلى ذلك كانت منطقة الزيبان زاخرة بالتمر والكتان والحناء والفواكه والخضر والبقول واللحوم والسمن، وكانت حواف منطقة جبل أحمر خدو من بين أهم المناطق التي تحتوي على المراعي والعسل[5].

---

[1] يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص- ص 223-224.

[2] المرجع نفسه، ص- ص 224- 225

[3] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 9.

[4] عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1849-1859)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011 م، ص 19 .

[5] مولاي بالخميسي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 29.

أدرك الفرنسيين أهمية منطقة الزيبان اقتصاديا لهذا عملوا بكل الوسائل للسيطرة عليها فيقول الدوق دومال في هذا الصدد وقد أبدى إعجابه بها بعد احتلال بسكرة 1844م باعتبارها مسطح رملي شاسع يرتفع قليلا عن سطح البحر ويحتوي على ثروات طبيعية كثيرة تفيد الاقتصاد الفرنسي[1].

2-2 الحرف:

بالنسبة للصناعة كانت تتسم بطابع الحرفة وهي صناعة تقليدية تتميز خلال هذه الفترة بالتنوع من أدوات وملابس يحتاجها السكان في حياتهم اليومية[2]، بالإضافة إلى صناعات تعتمد على الإنتاج الحيواني والنباتي تندرج ضمنها "معاصر الزيتون والمطاحن والأرحية لتوفر وكثرة الحنطة والشعير، نضيف إليها عملية التجفيف التي يقوم بها السكان لأنواع مختلفة من الفواكه، وهناك صناعة الغزل والنسيج التي تعد من أهم الصناعات لاعتماد السكان عليها بصفة كبيرة وتتعدد استعمالاتها منها: "البرانس، القشاشب[3]، الأغطية، الحايك،

[1] عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1849-1859)، المرجع السابق، ص 18.

[2] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972م، ص 60.

[3] **قشاشب:** جمع قشابية وهي لباس رجالي تقليدي يرتديه أهل المنطقة (الزيبان) ليحميهم من البرد وهو مصنوع من وبر الجمل أو الصوف حاليا يشتهر به أولاد نايل.

الزرابي، الخيام والعمائم" وغيرها، إضافة إلى صناعة ودباغة الجلود وصناعة الخشب (الملاعق- القصاع...) وصناعة الفضة وصناعة الفخار[1].

2-3التجارة:

أ_التجارة الداخلية: وهي المهمة بالنسبة للسكان، تتم في القرى والمداشر وتعقد لها أسواق خاصة دورية أسبوعية على مدى أيام الأسبوع ويطلق عليها اسم "سوق الخميس وسوق السبت في قرى أخرى" ويتجه إليها السكان باكرا راجلين أو على الأحمرة والبغال والأحصنة أو الجمال وتكون في مفترق الطرق ويقوم السكان من خلالها بمقايضة بعضهم البعض، وتنشط التجارة خلال فصول الربيع والصيف والخريف أما في فصل الشتاء فتتكس بسبب البرد، ومن البضائع التي تباع في هذه الأسواق: الحبوب، الخضر، الفواكه، الزيتون، التمور، الأدوات الفخارية، العطور إضافة إلى التوابل والألبسة وغيرها.

ب_التجارة الخارجية: تتم مع قوافل التجارة الصحراوية الكبرى مثل: قافلة الأغواط إضافة إلى هذه توجد قوافل سكيكدة والبي[2].

تعد الزيبان من أهم الطرق التجارية بحيث كان النشاط التجاري بها مزدهرا وذلك لعدة أسباب منها الحجيج الذين يتوافدون للزوايا خاصة الرحمانية ومحطاتها، فللحجاج حاجات

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص- ص327-329 .

[2] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق ص- ص 332-334.

يبحثون عنها مثل: القمح، الدقيق، السمن، اللحم، الدواب، فينفقون ما لديهم من الذهب وأحيانا ما يحملون من الكتب لشرائها[1].

3 الوضع الاجتماعي:

تتحدث القليل من المصادر حول سكان بايلك الشرق وخصوصا الزيبان، حيث حدد دي بيلسي Pellissie عددهم أواخر العهد العثماني بمليون ونصف مليون نسمة[2] في حين يذهب حسونة الدغيسي إلى أن عددهم يصل الى أربعة ملاين وثمانمائة ألف نسمة[3]، لكن حسب إحصائيات حمدان خوجة حول عدد السكان في الجزائر ككل حوالي عشرة ملاين[4] غير أن الأستاذ التميمي وجد أن عدد السكان بلغ ستة ملايين وثلاثة مائة ألف نسمة وهو ما جعله يتأكد من مبالغة ما ذهب إليه حمدان خوجة، ووجد أن عدد سكان شرق الجزائر يبلغون حوالي مليون ومائة وواحد وثلاثون ألف نسمة [5]، أما ياكو Yaconot فذهب الى ثلاثة ملايين[6].

---

[1] مولاي بلخميسي، المرجع السابق، ص 29.

[2] Pélissier (R de), Annales Algériennes, T 3, Dumaine, paris :1854, p-p 288-289.

[3] أحميدة عميراي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، (د.ن.س)، ص- ص 19-20.

[4] حمدان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي زبيري، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2005، ص 344.

[5] أحميدة عميراوي، جوانب من السياسة وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، دار البعث، (د.س.ن)، (د.ب.ن)، ص 19.

[6] Yacono (X), Peut on évaluer la population de L'Agerie vers 1830, R.A 1954,p-p 277-307.

وحسب الإحصاءات والمصادر فإن مجموع سكان الصحراء الشرقية يبلغ عددهم حوالي أربعمائة وخمسون ألف نسمة، منهم حوالي تسعون ألف نسمة بالزيبان يتوزعون على أربعين مدينة وقرية وعشرون قبيلة وعرش[1].

ينقسم سكان بايلك الشرق" الزيبان" كبقية سكان الجزائر حسب التصنيف العرقي "قبائل –عرب –شاوية –أتراك – كراغلة – يهود " ويأتي الهرم الاجتماعي على النحو التالي:

مجتمع المدينة:

تعيش فيها الفئة الأولى وهي الطبقة البرجوازية الحاكمة ومعظم أفرادها عثمانيين وكراغلة وقبائل رجال المخزن، بعدها تأتي الفئة الثانية وهم أغلبية سكان المدينة وهم من العامة الذين كانوا يشكلون قاعدة الهرم الاجتماعي.

مجتمع الريف :

كان سكان الريف أواخر العهد العثماني يشكلون قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث الكثرة والنسبة ومردود الإنتاج، وينقسمون إلى سكان الجبال الأكثر استقرارا وسكان السهول حديثوا الاستقرار[2]، وهم عرب أقحاح لكنهم من العناصر المشاغبة والمعروفة بالنهب والسلب، ولكن اضطرارهم لشراء الحبوب في الصيف من التل يحتم عليهم الطاعة والامتثال[3]، نذكر منهم

[1] عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1849–1859)، المرجع السابق، ص 16.

[2] أحميدة عميراوي، جوانب من السياسة وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، المرجع السابق، ص– ص 21–22.

[3] إبراهيم مياسي، احتلال بسكرة 1844م، **المجلة الخلدونية** ، ع2، 2003، جامعة الجزائر، ص 42.

سكان: أولاد جلال أولا ساسي، سيدي خالد، أولاد حركات، البوازيد، ناس الزعاطشة، أولاد زكري، أهل بني مرة، الشرفة، السحاري[1].

وكانت السلطة فيه تستند إلى أعراش القبائل المخزنية [2] والتي تنفذ أوامر القادة الأتراك ثم أصبحت وسيطة، أما الباي فكان له شيوخ يعينهم على رأس القبائل أبرزهم شيخ بسكرة والصحراء الذي كان تحت تصرفه إحدى عشرة قبيلة ويكون هذا الشيخ كالملك بالنسبة للسكان، وتضاف إلى هذه المجموعة مجموعة أخرى معفية من الضرائب وهي فئة المرابطين حيث كانت سلطتهم قوية نظرا لنفوذهم الروحي والديني[3].

والملاحظ أن النظام العثماني دعم الإقطاع في البلاد وهذا بإحداثه سلطات متنوعة ودعمها سواء في المدينة أو الريف، وفي مقدمتهم الشيوخ والمرابطين والقواد، أيضا أسست سلطة دنيوية أولت قيادتها لشيوخ القبائل، هذا ما نتج عنه خلل داخل الهرم الاجتماعي حيث ولد هذا التباين صراعات بين فئات السكان والنظام الحاكم.

وقد كان سكان الزيبان يوصفون بالبدو حيث يعتمدون في حياتهم على الرعي وتربية المواشي والفلاحة وكثيرا ما كانت تثور صراعات بينهم حول مواطن الكلأ والفلاحة، فنجد انه

---

[1] عباس كحول، المرجع السابق، ص 14.

[2] **القبائل المخزنية:** هي قبائل ذات نشاط فلاحي وعسكري واداري، لاتعود في اصولها الى نسب واحد، فهي تجمعات سكانية تتكون من العبيد و عرب الصحراء و سكان الهضاب و الجبال اضافة الى المغامرين القادمين من مختلف انحاء العالم، وهي أطراف حليفة للسلطة العثمانية بالبايلك.**أنظر:** جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني(1772-1837م / 1185-1253هـ)، رسالة ماجستير، جلمعة قسنطينة 2، 2012 م، ص 26.

[3] رياض بولحبال، المرجع السابق، ص 24.

كان هناك صراع حاد بين الأسر وبين القبائل فالأسرتين ابن قانة – بوعكاز " تتقاسم النفوذ في المنطقة وكانتا ضد بعضهما، أما القبائل فكان الصراع في الغالب بين الأفراد أو الأسرة الواحدة بفعل الانتماء إلى الجد الواحد أو شيخ الطريقة الواحدة[1].

أيضا تميزت هذه الفترة بظهور علاقات المصاهرة بين البايات والأسر الكبرى الريفية وسعى بعض البايات إلى رفع مقام بعض الأسر الريفية على حساب الأخرى، فأسرة بن قانة ظهرت كأسرة جديدة في عهد الباي أحمد القلي[2] بعدما تزوج من هذه الأسرة، والحاج أحمد باي يعد ابن أخت أحد كبار رؤساء هؤلاء العرب ابن قانة، والباي إبراهيم صاهر احد أفراد الأسر الصحراوية[3].

4_ الوضع الثقافي:

تأكد التقارير والكتابات العربية منها والفرنسية أن التعليم كان منتشرا حيث كل القبائل والمداشر والقرى لها معلموها ومدرسوها قبل الاحتلال[4]، على الأقل فيما يخص الكتابة والقراءة عكس العهد الاستعماري، وقد ارتبط التعليم بالوسائل البسيطة وكان يمارس في

---

[1] أحميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص- ص 20-23.

[2] **أحمد باي القلي 1756-1771م:** ولايته كانت في العام المذكور وهو تركي الأصل اشتهر بتدينه، وهو جد الحاج احمد باي.**أنظر:** محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستلاءهم على أوطانها، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، ص 61.

[3] رياض بولحبال، المرجع السابق، ص 34.

[4] أحميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2ط، دار الهدى للطبع والنشر، ميلة، 2004، ص- ص150، 155.

الزوايا والكتاب والمساجد والمدارس وفي نفس الوقت ارتبط التعليم ببعض الممارسات والطقوس التي لا تساعد على تحريك الفكر والعقل وهي أقرب إلى البدع والخرافات، وكان التعليم السائد هو التعليم العربي الإسلامي[1].

فكل الذين درسوا التعليم والثقافة في الجزائر غداة الاحتلال اندهشوا من كثرة المدارس وحرية التعليم وكثرة المتعلمين ووفرة الوسائل من أجل التعلم كالمداخيل الوقفية ومحلات الأوقاف[2] والأجور العالية، وقد كان يمارس في المدينة والريف بنفس المستوى والبرنامج، وعليه كانت المواد التي تدرس هي حفظ القرآن الكريم ومعرفة اللغة العربية وعلوم الدين والاهتمام بالفروع الفقهية على مذهب الإمام المالكي فبالرغم من أن مذهب الأتراك كان حنفيا لكنهم لم يرغموا الناس على اعتناقه، ويلاحظ أن التعليم العربي الإسلامي كان يتألف من ثلاث مستويات الابتدائي والثانوي والعالي وكان الثانوي والعالي مجانيا أما الابتدائي فكان بأجر اختياري وقليل، وكانت المدارس متصلة بالمساجد يشرف عليها وكلاء الشؤون الدينية وتتغذى من أملاك الأوقاف الخيرية، لكن مصادرتها من طرف الاحتلال وضمها لأملاك الدولة الفرنسية " الدومين" ونفي وتشريد العلماء وهجرتهم جعل التعليم يموت[3].

---

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2005م، ص80.

[2] **الأوقاف:** هي الحبوس التي عرفها النظام الإسلامي في تسيير مؤسساته وكانت مزدهرة في العهد العثماني لكنها تعرضت للمصادرة الاستعمارية.**انظر:** أيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 127.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص-ص 19-22.

وقد تميزت الحالة الثقافية بمنطقة الزيبان أيضا بارتكازها على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، حيث كان في الطليعة المثقفين والفقهاء الذين يتمتعون بالقيادة الروحية ويشاركهم فيها مشايخ الطرق الصوفية ومقدموها[1]، ومن المدن التي كثر ذكرها خلال العهد العثماني نجد بسكرة والخنقة[2]، فقد اشتهرت بسكرة ونواحيها بجامع سيدي عقبة التاريخي[3] وشهدت أيضا حركة علمية غير عادية مقارنة بالوضع العام بالمنطقة " الجنوب الشرقي"، وأكبر دليل على هذا العدد الهائل من المخطوطات المحفوظة بالزوايا نذكر منها الزاوية العثمانية بطولقة[4].

غير أن فترة حكم صالح باي عرفت ازدهارا ثقافيا واهتماما واسعا بالتعليم فقد أسس المدرسة الكتانية والمدرسة الملحقة بالجامع الأخضر واهتم بالحياة الاجتماعية والثقافية وعلى رأسها الزوايا وكان له تأثيرا كبيرا على الزيبان[5]، فتأكد خريطة انتشار الزوايا ومؤسساتها بالزيبان على غرار الزاوية الرحمانية بالبرج أن التدريس كان يمارس حتى تحول إلى قبلة

---

[1] يوسف بن حسين خنفر، العلامة محمد الصغير الأخضري البسكري " حياته آثاره"، جامعة ورقلة، (د.س.ن)، ص 35.

[2] **الخنقة:** بلدية خنقة سيدي ناجي تقع في منطقة الزاب الشرقي، أقصى شرق بسكرة تنتمي إلى جبال النمامشة تبعد عن مقر ولاية بسكرة بحوالي 100 كلم، تابعة إداريا لدائرة زريبة الوادي، ويأتي اسمها من الخانق أي الشعب الضيق والزقاق المختنق.**أنظر**: الطيب كريم، "بلدة خنقة سيدي ناجي حاضرة من حواضر الزاب الشرقي"، **الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ)، من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، أيام،26،25،24،23 ديسمبر 2014، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، الجمعية الخلدونية، بسكرة،2017م، ص 90.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 179.

[4] يوسف بن حسين خنفر، المرجع نفسه، ص35 .

[5] سجل صالح باي للأوقاف 1771-1792، تق وتح فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص9.

لطالبي العلم والتصوف، أيضا هناك الزاوية العثمانية بطولقة والمختارية بأولاد جلال وزاوية الجروني بسيدي خالد وزاوية الصادق بن رمضان ببسكرة وزاويتي عبد الحفيظ الخنقي والناصرية بالخنقة وزاوية الصادق بن الحاج بالقصر أحمر خدو وزاوية سيدي مصمودي بسيدي مصمودي، بغض النظر عن الزوايا الأخرى القادرية والتيجانية على الدور الذي قامت به في نشر الثقافة العربية الإسلامية وممارسة التعليم على نطاق واسع[1].

فقد كان للزوايا والطرق الصوفية دورا فاعلا في الجانب الثقافي والتعليم العربي الإسلامي خاصة، حيث كان لها نفوذ في أوساط المجتمع حتى أكثر من الباي وشيخ القبيلة هذا ما جعل السلطة العثمانية تتقرب من بعضها، لكنها خلال هذه الفترة كانت صوفية بالاسم فقط لا بالممارسة " نجد منها في طولقة"، فبقدر ما كان الطرقيون نعمة على المجتمع يحملون لواء الثقافة والتعليم وتركهم تراث من الأذكار والتأليف بقدر ما كانوا نقمة بما أحدثته من صراعات محلية ونشرهم الخرافة والبدع وإبعاد المجتمع عن العلم والعمل، إذ لم تكن لديهم اهتمامات بفلسفة التوحيد في الدين الإسلامي[2]، وهذا ما سهل مهمة النظام العثماني في السيطرة على المجتمع وحتى الاحتلال الذي تفطن لأهمية هذه الطرق وأهميتها في التعليم لهذا حاول استمالتها وتضييق الخناق على التعليم العربي الإسلامي.

[1] الأمير بوغدادة، دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13 هـ- 19م ، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، ع1، جوان 2015، جامعة بسكرة، ص 400 .

[2] عميراوي أحميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص- ص30-31 .

لكن من جهة أخرى وجهت انتقادات للوضع الثقافي وخاصة التعليمي بالزيبان خلال العهد العثماني وقبيل الاحتلال حيث يتهم هذا العهد الأخير أنه ولى ظهره للعلم واهتمامه بالجهاد فقط، مما فتح المجال أمام الشعوذة والخرافات والتصوف[1] المغشوش[2].

[1] **التصوف :** هو عزوف النفس عن الدنيا والعكوف على العبادة و الانقطاع لله والابتعاد عن شهوات الحياة وزينتها.

[2] فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الاخضري1514-1575 م، شخصيته ومواقفه و آثاره، (د-ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 15.

ثانيا: احتلال منطقة الزيبان 4 مارس 1844 ورد فعل السكان عليه.

1-احتلال منطقة الزيبان 4 مارس 1844:

تمكن بن قانة من الفوز بمنصب مشيخة العرب، بعد تعاونه مع الاستعمار[1]، وأثناء ترحاله إلى التل كعادة البدو الرحل، اتفق كل من الأمير عبد القادر ومحمد الصغير بن أحمد بن الحاج[2]سنة1842م، والذي عينة خليفة على الزيبان والصحراء، على محاربة الاستعمار الفرنسي وأعوانه، مما ساهم في إشعال فتيل المناوشات بين بن قانة ومحمد الصغير بن أحمد بن الحاج ، فتدخلت فرنسا وحددت المناطق التي يتحكم فيها بن قانة[3]، بعد ذلك انظم أحمد باي بن شنوف وهو من أبرز قيادات الزاب الشرقي إلى محمد الصغير حيث تمكن من دخول بسكرة والسيطرة على القصبة فعادت السلطة إلى الأمير، وفقد بن قانة عشرون فارسا وعشرون حصان، وخمسة وأربعين رجل جريح وذلك من خلال تقرير بن قانة الذي بعثه إلى السلطة الفرنسية بقسنطينة لتهويل وضع الزيبان الذي كان تحت سيطرة محمد الصغير طالبا النجدة من فرنسا[4]، فكان من هذه الأخيرة إلا تلبية طلبه، فانطلقت الحملة من قسنطينة في 07 فيفري 1844 بقيادة العقيد بوتافاكو BUTTAFAC، مكونة من فرقة مشاة

---

[1] أحمد خمار، المرجع السابق، ص09.

[2] **محمد الصغير بن أحمد بن الحاج:** وهو محمد الصغير بن عبد الرحمن، من واحة سيدي عقبة عينه الأمير عبد القادر خليفة له بالزيبان والصحراء، مكان فرحات بن السعيد، كان مؤمنا بضرورة الجهاد ومقاومة العدو.**أنظر:** بن نعيمة عبد المجيد، بن معمر أحمد، الحمدي أحمد، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1945، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث، 2007، ص49.

[3] Bouaziz Ben Gana, le Chekh el Arabe, étude historique sur la famille Ben Gana, Alger, 1930 , P 88.

[4] إبراهيم مياسي، احتلال بسكرة 1844، المرجع السابق، ص 40 .

بقيادة العقيد فيدال والخيالة والمدفعية تحت قيادة الجنرال نوالNOEL، ودعمتها قوات من سطيف مقدرة بكتيبتان ومائتا حصان بقيادة الجنرال ليهينLYHINE[1]، وعند حلولها مدينة باتنة تمركزت القوات هناك وحولتها إلى مركز عسكري للتموين وإنشاء قاعدة عسكرية هناك لقيادة العمليات[2].

ثم بعد ذلك انطلقت باتجاه بسكرة حيث أرسل بن قانة ألف من الإبل لنقل المؤونة، وفي الطريق اعترضتم قبيلة أولاد سلطان وحدثت مناوشات مما دفع العقيد بوتافاكو إلى إرسال أربع سرايا ومائتا جواد للقضاء على تلك المقاومة، حيث تمكنت قوات العدو من صدهم وألحقت بهم الهزيمة، فقتلت خمسة عشر مقاوم، وأجبرت الناجين منهم على الفرار مما فتح الطريق أمام العدو الفرنسي للتوغل في قلب الصحراء واحتلال عاصمة الزيبان بسكرة[3]، واصلت الحملة طريقها في 25 فيفري 1844، حيث تمكن الدوق مونتبوسينيMontpensier–أخ قائد الحملة– في محاولة منه لإحكام السيطرة على المناطق المجاورة بالسيطرة على الطرق المؤدية للقنطرة وذلك لصعوبة منحدراتها[4]، كما أخضع مكماهون Mac Mahon، قبيلة بني معراف التي تقطن السفوح الجبلية المجاورة للاوراس[5].

---

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 28.

[2] تلمساني بن يوسف ، التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان، **مجلة المصادر**، ع 22، جامعة الجزائر، ص 34.

[3] Abdelhamid Zerdoum, Les français a Biskra 1844-1962, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, Alger 1998, p05.

[4] رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844–1962 م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر02، بوزريعة، 2012م ، ص 22.

[5] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 29.

في 4 مارس 1844 تمكنت قوات العدو من دخول مدينة بسكرة، بعد قرار محمد الصغير بالحاج بالخروج منها، وقام الجيش الفرنسي باستكمال إخضاع منطقة الزيبان بأكملها، التي أعلنت الولاء له مقابل الحماية[1]، وبعد ذلك أكمل الدوق دومال المسيرة في التوغل في أعماق المنطقة والقضاء على كل جيوش المقاومة، كما قام بمصادرة أملاك المجاهدين الفارين الذين لم يسلّموا أنفسهم بعد قدوم الحملة إضافة إلى معاقبة المقاومين الذين تم أسرهم وحجز أملاكهم، وأمر بتجهيز قوة عسكرية مكونة من ثلاثمائة رجل لمهاجمة قصبة بسكرة ووضعها تحت تصرفه، وبعد ذلك قصد في 7 مارس 1844 واحة سيدي عقبة لإخضاعها هي الأخرى[2].

بعد عودته إلى بسكرة وصلته أنباء مفادها أن أولاد سلطان ثاروا من جديد فتوجه إليهم لإخماد ثورتهم وقد تمكن من ذلك، أما محمد الصغير بن الحاج غادر مدينة بسكرة واعتصم في جبال الأوراس بواحة مشونش، وأحمد باي توجه إلى جبل أحمر خدو[3] .

بعد مرور عشرة أيام أعلن قائد الحملة أن معظم القرى والقبائل الرحل أعلنت ولاءها لفرنسا، وذلك من خلال دفعها للضرائب رغم ارتفاع مقدارها، حيث قدرت بمائة وخمسون ألف فرنك، كما أكد الخضوع التام لكن الواقع أظهر عكس ذلك برغم من إنكار فرنسا وإصرارها وخير دليل أهالي مشونش.

[1] محمد صالح العنتري، المرجع السابق، ص 164.

[2] Abdelhamid Zerdoum, Op.cit, p06.

[3] تلمساني يوسف، المرجع السابق، ص 35.

حيث احتدمت معارك بين الطرفين بمجرد وصول القوات الفرنسية إلى المناطق المجاورة لجبل أحمر خدو، وقد فقدت القوات الفرنسية في هذه المعركة ستة جنود منهم الضابط بوران كما أصيب ستة عشر آخرون بجروح، أما من جانب المقاومين فقد أستشهد مايقارب أربعة عشر مجاهد، معظمهم من سكان مشونش[1].

هذا ما أكد عدم استسلام أهالي المنطقة، ورفضهم لأي شكل من أشكال التواجد الفرنسي هناك وقد أثبت هذه المعركة للدوق دومال أن مهمته في إحكام السيطرة على منطقة الزيبان وإخضاعها لسلطته، من أجل التوغل للصحراء لن تكون مهمة سهلة كما كان يعتقد وذلك بسبب تشبث سكان المنطقة بأراضيهم ورفض أي دخيل.

2_ رد فعل سكان منطقة الزيبان على الاحتلال:

2-1 معركة مشونش:

بعد احتلال مدينة بسكرة في 04 مارس 1844 من طرف القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال تمكن محمد الصغير بن عبد الرحمن بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر على الزيبان من الانسحاب الى مشونش[2] بسفوح جبل احمر خدو[3] لإعادة تنظيم جيشه والهجوم مرة أخرى

---

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 31.

[2] **مشونش:** سكانها يطلقون عليها اسم "إيمسونين"وهي كلمة باللهجة الشاوية وتعني جنات نظرا لتنوع الغابات المثمرة فيها وكثرة المضائق والبرك المائية بها، تبعد عن مقر ولاية بسكرة بـ28 كلم.

[3] **جبل أحمر خدو:** يقع في جنوب شرق الاوراس، عبارة عن كتلة صخرية حمراء اللون طولها 70 كلم تبدأ من رأس الزواق شمالا إلى منطقة سريانة في سيدي عقبة جنوبا، وهي حدود طبيعية بين الزاب الشرقي ومع خنشلة وباتنة. **أنظر:** جمعة بن زروال، المجتمع في منطقة غسيرة وأحمر خدو من خلال قانون سيناتوس كونسيلت 1836 (دراسة تحليلية إحصائية نقدية)، **مجلة الإحياء**، مج 19، ع22، سبتمبر 2019، جامعة باتنة، ص 685 .

لاستعادة بسكرة[1]حيث استقبله سكان القرية بحفاوة وهم من أتباع الطريقة الرحمانية وعاهدوه على الجهاد إلى جانبه خاصة وأن العدو واحد ومشترك[2]، وقد شعر قادة الاحتلال بما يحدث فقام قائد الحملة بإرسال بعض الضباط الذين يحسنون اللغة العربية إلى القرى المجاورة لكي يتجسسوا على الأوضاع السياسية والاجتماعية للسكان، ومن هؤلاء الضباط الرائد توماسthmas والنقيب دونوفوdeneuveu والنقيب ديفوdesvau والنقيب فورنييهfournier، ولما وصلت التقارير للدوق دومال حول ما يجري بالقرية شرع في اتخاذ الإجراءات اللازمة للمواجهة[3].

ولدعمه أرسل الشيخ الصادق بالحاج ابنه إبراهيم مع مجموعة من المريدين والأتباع واجتمعوا في دار محمد أمقران حمودة، مقر مقدم الزاوية الرحمانية بمشونش.

بدأت المواجهة في مارس 1844 مع القوات الفرنسية التي كان عددها مائة وخمسون فارسا بقيادة ترومبلي وتكبد العديد من الخسائر لهذا قرر الانتقام، فتوجهت قوة عسكرية فرنسية أخرى عددها ألف ومائتي جندي وأربعمائة حصان إلى مشونش، ووصلت إلى مشارف الواحة يوم 12 مارس1844م إلى أن المقاومين من مختلف أعراش المنطقة قاموا

[1] فوزي مصمودي، معركة مشونش ببسكرة 1844م الخالدة، **المجلة الخلدونية** (المقاومة الشعبية ببسكرة)، ع03، 2004م، بسكرة، ص 136.

[2] الأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص 408.

[3] فوزي مصمودي، خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان، **المجلة الخلدونية**، ع 03، 2004، بسكرة، ص 81.

بسد الثغرات والمسالك المؤدية إلى الواحة[1]، وفي صبيحة يوم15 مارس 1844، خرجت قوات فرنسية بقيادة الدوق دومال من بسكرة متجهة إلى بوابة الأوراس الجنوبية قرية مشونش[2] وقامت بحصارها وأطلقت مدافعها صوبها دون تحديد الهدف فتصدى السكان لها بكل الوسائل، وصمدوا يوما كاملا (هناك من يقول نصف يوم) رغم استشهاد خمسين شهيد[3]، كانت هذه المواجهة شديدة فهي أول مواجهة مباشرة تخوضها القوات الفرنسية في الأوراس حيث أصيب فيها النقيب اسبيناس (espinass) بإصابات بليغة، الأمر الذي جعل قوات العدو تتراجع إلى بسكرة أمام شدة المقاومة[4]، حيث سلمت قيادة الجيش الفرنسي إلى الكولونيل تتاو، الذي توجه إلى مشونش على رأس ما يزيد عن ألفي مقاتل، فدارت معركة حامية لمدة يومين تكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة، فقدت فيها ستة رجال منهم الضابط بورو وستة وعشرون جريحا منهم خمسة ضباط بينما فقد سكان مشونش أربعة عشرة شهيدا[5].

---

[1] الأخضر رحموني، "حاضرتا مشونش وبانيان درتان في عقد حضارة الزاب الشرقي"، **الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ)، من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، أيام،26،25،24،23 ديسمبر 2014، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، الجمعية الخلدونية، بسكرة،2017م ، ص 137.

[2] محمد العيد مطمر، الغزو والاحتلال للاوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844-1884)، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع 10، جامعة محمد خيضر بسكرة، نوفمبر 2006م، ص 82.

[3] الأخضر رحموني، المرجع السابق، ص 138.

[4] محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 82 .

[5] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2015م، ص 49 .

اعترف العدو الفرنسي ببسالة المقاومة وصمود سكان مشونش في تقرير مكتوب"وجدنا مقاومة حادة وعنيفة وأرضا صعبة وصخورا ولحقتنا خسائر"[1].

كما وصف أحد القادة الفرنسيين سكان مشونش أنهم:"مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ونخيلهم ولا يستطيعون التنقل والترحال كقبائل الرحل...إن المعركة الأولى التي خضناها مع المقاتلين بمشونش وهي إحدى قرى الاوراس تعطي لنا دليل على الدفاع المستميت الحثيث، وقد وجدنا مقاومة عنيفة، ورجال عنيدون يدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم ورجلا برجل على سطوح منازلهم الملتصقة وكأنها شرفات بعضها فوق بعض"[2].

2-2 معركة بسكرة ماي 1844:

بعد احتلال مدينة بسكرة من طرف الدوق دومال[3]، توجه إلى أولاد سلطان ليطلب من أحمد باي الاستسلام، فقام بتعيين الرائد توماس على المدينة ووضع تحت إمرته فرقة عسكرية صغيرة، حيث قام محمد الصغير بن أحمد بالحاج خليفة الأمير عبد القادر في الزيبان باستغلال انشغال القوات الفرنسية بالمواجهات الجارية في الأوراس، والتحاق بن قانة وقومه

[1] الأخضر رحموني، المرجع السابق، ص 138.

[2] محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 82 .

[3] **الدوق دومال:** هو الابن الخامس للملك لويس فليب، عاش في الجزائر فيما بين (1840-1848)، وفي 1842 وصل إلى أعلى رتبة عسكرية برتبة جنرال ثم عين قائد مقاطعة قسنطينة ، قاد حملتين عسكريتين، وقد كان دائما له الدور الفعال في الأولى للإحتلال منطقة الزيبان والثانية لاحتلال جنوب سطيف. **أنظر:** شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 23.

بقوات الدوق دومال لينقض على الحامية العسكرية الفرنسية المتواجدة في قصبة بسكرة ليلة 12 ماي 1844[1].

استطاع محمد الصغير أن يسرب عددا من أتباعه داخل صفوف العدو، بعد إدعائهم أنهم فرو من صفوف المقاومة وقرروا العمل تحت سلطة شيخ العرب، وبدون تحفظ جندوا وألحقوا بعناصر حامية قصبة بسكرة لحراسة قطيع المواشي والدواب، وكان الهدف من وراء ذلك هو التسلل من أجل فتح باب القصبة ليلا لمحمد الصغير والقوات المرافقة له حيث اعتمدت خطته على الخديعة والمباغتة، وبفضلهم استطاع تحقيق ذلك حيث اقتحم قصبة بسكرة ليلا[2]، وتضاربت الأراء مابين مئة وخمسون إلى مائتان وخمسون مقاتل بقيادة أحمد الغربي[3].

كانت نتائج الهجوم وخيمة على العدو، حيث تم قتل ملازمان، كما قتل الطبيب أرسلان، وتم استرجاع ما يقارب "مليونين دورو[4] واثنان وعشرون مكحلة[5]" ومائة وخمسة عشر بذلة عسكرية، وكميات من القمح والشعير[6]، واستطاع الرقيب بيليسيي(PELLISSIER) الفرار

[1] Bouaziz Ben Gana, Op cit ,P98.

[2] عثماني مسعود، الأوراس مهد الثورة، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2008، ص39.

[3] تلمساني يوسف، المرجع السابق، ص 41.

[4] **دورو**: هي عملة معدنية كانت تستعمل في فترة الاحتلال الفرنسي.

[5] **مكحلة** : ويقصد بها البندقية.

[6] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 35.

إلى طولقة رفقة أحد أتباع بن قانة، حيث وفر له شيخها محمد المعيول كامل الحماية[1]، وفي اليوم الموالي دخل محمد بن أحمد بن الحاج مدينة بسكرة عائدا إليها وسط فرحة سكانها، وجد في استقباله رجالا من مختلف المداشر والقرى، لاسيما سيدي عقبة مسقط رأسه[2].

وما إن بلغ هذا الخبر مسامع الدوق دومال حتى أعد حملة عسكرية يوم 14 ماي 1844، لتصل إلى بسكرة في 18 ماي وبقدوم هذه القوات الهائلة انسحب خليفة الأمير إلى أولاد داود بالأوراس محاولا تحريض سكانها على الجهاد وسعي إلى تنسيق الجهود مع أحمد باي لكن جهوده باءت بالفشل، فركز على تحطيم التنظيم السياسي الذي أقرته السلطة الاستعمارية وسط القبائل التي أبدت خضوعها، وقام بملاحقة القياد الذين عينتهم الإدارة الاستعمارية [3].

وفي الوقت نفسه أقر الدوق دومال تنظيم عسكري وإداري وسياسي يهدف إلى إخضاع منطقة الزيبان بأكملها ، ولاسيما سيدي عقبة بحجة دعمها لمحمد الصغير ، وأعيد تشكيل حامية عسكرية فرنسية بتعداد يختلف عن سابقاتها[4]، عين على رأسها قائد برتبة رائد يدعى توماس وخلفه الرائد سان جرمان[5]، ويساعد القائد الأعلى أربع قيادات من الأهالي موزعة على النحو التالي:

---

[1] زاير عبد القادر، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010م، ص 112.

[2] تلمساني يوسف، المرجع السابق، ص 41.

[3] Bengana, op .cit, p101.

[4] تلمساني يوسف، المرجع السابق، ص 42.

[5] رضوان شافو، المرجع السابق، ص 22.

أ/الخليفة: هو لقب جديد مكان منصب شيخ العرب، وبهذا أصبح بن قانة يلقب بخليفة الصحراء تشمل سلطته: واحة بسكرة (الزاب الظهراوي[1]) والزاب القبلي[2]، والبدو الرحل من عرب الشراقة والغرابة وأولاد سيدي صالح.

ب/قيادة الحضنة: عين على رأسها مقران تشمل مناطق أولاد دراج، أولاد زيان، بني سويق، بني فراح وأولاد سحنون بالقنطرة والبرانيس والصحاري[3].

ج/قيادة الزاب الشرقي: قسمت هذه المنطقة إلى قسمين متصارعين من طرف الإدارة الاستعمارية وهما أولاد بوعبد الله وأولاد شنوف، وكلاهما من عرش أولاد ساولة [4].

بعد هذا التقسيم لمدينة بسكرة عرفت العديد من الأحداث في الفترة الممتدة ما بين(1845 -1848) حيث تميزت هذه الفترة من تاريخ المنطقة بتصاعد روح المقاومة، ففي سنة 1845م قام سكان جبال أحمر خدو بإيواء أحمد باي وذلك من خلال مخادعة الرائد سانت جرمان بخضوع الفلاحين، وفي سنة 1846م تم استرجاع خنقة سيدي ناجي[5]، أما سنة 1847 م قام رائد المقاومة في الغرب الأمير عبد القادر بالاستسلام.

---

[1] **الزاب الظهراوي:** يشمل واحات بوشقرون ، فرفار، البرج ليشانة، الزعاطشة، طولقة.

[2] **الزاب القبلي:** يشمل واحات أورلال، ليوة، مخادمة، بنطيوس، مليلي، أوماش، الصحيرة .

[3] إبراهيم مياسي، خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان، **المجلة الخلدونية**، ع3، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ"، ص 88.

[4] Bengana, Op-cit, p104.

[5] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م، ص 72.

كما شهدت فرنسا سنة 1848 حدث سياسي كبير تمثل في نهاية الملكية وقيام الجمهورية الثانية، الأمر الذي استغله علي باي–ابن فرحات بن سعيد– حيث قام بإشعال فتيل الثورة مما أثار مخاوف فرنسا، حيث قامت بتجنيد كل الوسائل من أجل ردعه[1].

وفي المقابل قام القطب الثاني للمقاومة الجزائرية في الشرق أحمد باي بالاستسلام، طالبا من فرنسا السماح له بالعيش في أرض إسلامية، فاقتيد إلى بسكرة ومنها إلى قسنطينة ثم رحل إلى مدينة الجزائر وبقي فيها أن توفي سنة 1850م[2].

بالرغم من استسلام كل من الأمير عبد القادر وأحمد باي إلا أن الشعب الجزائري عامة والزيبان خاصة لم يتقبلوا فكرة الخضوع والاستسلام وذلك بسبب السياسة الاستعمارية الجائرة التي تفننت في أساليبها الهمجية من قتل وسلب وحرق، هذا ما جعلهم ينتظرون أي قائد يحمل لواء الانتفاضة، وجاء الرد من بوزيان سنة 1849 والشيخ عبد الحفيظ الخنقي سنة 1849، ثم تلاه الصادق بلحاج سنة 1858، ليجسد بذلك رفض أهالي منطقة الزيبان للتواجد الاستعماري ، راسمين صورة من صور تاريخ المقاومة في الزيبان.

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 38.

[2] إبراهيم مياسي، إحتلال بسكرة 1844، المرجع السابق، ص 50.

ثالثا: المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان (1849- 1859م)

3-1 مقاومة الزعاطشة1849م:

بعد استسلام الأمير عبد القادر في 1847م، وأحمد باي سنة 1848م، تحرك الشيخ بوزيان[1] شيخ واحة الزعاطشة[2]، بالدعوة إلى الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، وقد كانت هناك عدة أسباب لاندلاعها منها سياسة الغزو والتوسع الاستعماري على منطقة الزيبان ورفض أهل المنطقة وكل القطر الجزائري لاحتلال الفرنسي[3].

كذلك تأثير التحولات التي طرأت على فرنسا بعد ثورة 1848م بعزل الملك لويس فيليب وابنه دومال الحاكم العام في الجزائر، وتعويضه بالجنرال كافيناك يوم 3 مارس 1848م، ثم تلاه رحيل عدة كتائب من الجيش الفرنسي من الجزائر لتشارك في الثورة الفرنسية وتعمل على إخمادها، وفي نفس الوقت انتشرت أخبار مفادها أن بريطانيا قد أعلنت الحرب على

---

[1] **الشيخ بوزيان:** وهو أحمد بوزيان بن إسماعيل ولد عام 1799 ، من أسرة علم ورباط ، درس بإحدى زوايا مدينة الجزائر، ثم عاد إلى منطقته بعد 1830 وشارك مع الأمير عبد القادر حتى عينه شيخ على الزاب الشرقي. **أنظر:** علجية مقديش، الطريقة الدرقاوية في الجزائر مفهومها ومواقفها من الإحتلال الأجنبي، **مجلة التراث**، ع 25، جامعة الجلفة، ص 140.

[2] **واحة الزعاطشة:** تتكون الزعاطشة من ثمانية واحات يحيط بها النخيل ، وحولها أسوار من جميع الجهات ، تقع في الجنوب الشرقي للجزائر، على بعد حوالي خمسة وثلاثون كلم جنوب غرب مدينة بسكرة. **أنظر:** عبد القادر نايلي، المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية (إنتفاظة الزعاطشة نموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، 2013م، ص 90.

[3] فوزي مصمودي، أسباب فشل ثورة الزعاطشة ،**المجلة الخلدونية**، ع 03، عدد خاص، الملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ "، ص 43.

فرنسا وأنها تستعد لشن حملة عارمة على الاحتلال الفرنسي في الجزائر وقد وصلت هذه الأخبار إلى منطقة الزيبان عن طريق عمالة سكان المنطقة بمدينة الجزائر[1].

كذلك سياسة فرنسا القمعية من خلال الاعتداء على الحرمات وإثقال كاهل الجزائريين بالضرائب، حيث رفعت من قيمة ضريبة النخيل على أهالي واحة الزعاطشة، رغم تدهور مردود التمور سنة 1848[2]، مما حرك روح الجهاد والمقاومة باستعمال الكرامات، إلا أن العامل الأساسي هو رفض الاحتلال واستمرار روح الجهاد في الشعب الجزائري[3].

فاستغل بوزيان كلّ الظروف لإعلان حركته الجهادية[4]، حيث حث الناس على الامتناع عن دفع الضرائب، فاستجابت له بعض القبائل منها: أولاد عبدي سكان قرية نارة، وهذا ما دفع بفرنسا لقيادة حملتها الأولى ضد هذه القرية في 25 أفريل 1849م، حيث قام بوزيان بالاتصال بزعماء القبائل والأعراش المجاورة من أجل كسب تأييدهم وجمع المال لشراء السلاح والمؤن[5].

ولما علم القائد العام بالأمر، أمر الملازم سيروكا بإلقاء القبض على كل المتمردين وعلى رأسهم الشيخ بوزيان، فتوجه إلى الزعاطشة ولما ورد إلى البطحاء التي تتوسط المدينة شاهد

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934، المرجع السابق، ص 38.

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 65.

[3] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 78.

[4] فوزي مصمودي، أسباب فشل ثورة الزعاطشة، المرجع السابق، ص 44.

[5] العربي المنور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006م، ص246.

بوزيان فأمره أن يركب البغلة[1]، ويتبعه إلى بسكرة حيث يسجن جراء تشويشه، فامتثل بوزيان للأمر، ثم فجأة قام بتمزيق خيط سبحته تناثرت حباتها على الأرض، فنزل ليتظاهر بجمعها وهو بذلك يريد ربح الوقت ليستعد أنصاره للمواجهة، وفعلا سرعان ما انطلق وابل الرصاص من بنادق المجاهدين، فأسرع الضابط الفرنسي ومن معه إلى باب القرية ولاذوا بالفرار[2].

عند وصول الملازم سيروكا إلى بسكرة، قام بتقديم تقرير مفصل إلى القيادة العليا حول ما حدث، وعلى إثر ذلك أسرع الملازم الأول ديبوسكي إلى المنطقة قصد التفاوض معهم طالبا منهم تسليم الشيخ، لكن سكان المنطقة رفضوا ذلك[3]، فتراجع ديبوسكي إلى بسكرة وقام الجنرال لاقرونيه باستدعاء شيخ العرب بن قانة وأفراد عائلته وأعطاهم أمرا بتجنيد قبائلهم والاتجاه إلى الواحات لقمع الثوار[4].

اغتنم الموالون لبن قانة الفرصة، ومارسوا شتى أنواع الخراب التي تعلموها من أعوانهم ضد أبناء وطنهم الذين رفضوا التحالف مع الاستعمار[5]، ويمكن تقسيم مقاومة الزعاطشة إلى ثلاث مراحل: الانتصار ثم الحصار ثم الانكسار.

تبدأ بوصول القوات الفرنسية إلى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849، أين شدد الحصار على الواحات لإخماد الثورة[6]، حيث قرر القائد كاريبيسيا (CARIBISIA) تقسيم قواته إلى

---

[1] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر، الجزائر، 2009 م، ص 53.

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 62.

[3] عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 105 .

[4] إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، **مجلة الدراسات التاريخية** ،ع 08، جامعة الجزائر02، ص 91.

[5] Bouaziz Ben Gana, op.cit ,p115.

[6] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 49.

فوجين، حاول القيام بهجوم مباغت قبل وصول المتطوعين إلا أنه فشل في ذلك ووجد نفسه محاصرا من قبل قوات المتطوعين، فقام الشيخ بوزيان ببعث رسائل إلى عدة جهات يطلب فيها الدعم، بهذا قام كل من الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الطريقة الرحمانية في خيران، وسي الصادق بن الحاج شيخ زاوية تيبرماسين بسيدي مصمودي لمؤازرة بوزيان[1]، إلا أنه بمجرد معرفة بن شنوف قائد سيدي عقبة بذلك سارع إلى إعلام سانت جرمان قائد الحامية الفرنسية ببسكرة، مما جعل القائد يعترض هذا الهجوم بقوات من حامية بسكرة مدعومة بأتباع بن شنوف.

التقى الجمعان في قرية سريانة شمال تهودة يوم 17 سبتمبر 1849م، ودارت بينهما معركة كبيرة انتهت بمصرع سانت جرمان[2]، وقد ساهم هذا الانتصار في رفع معنويات الثائرين[3].

بعد مقتل الرائد سانت جرمان تحرك حاكم قسنطينة هيربيون(HERBILLON)[4] وتوجه إلى الزعاطشة بعدما عين العقيد كاربوسيا خلفا له، فحاصر المنطقة يوم 7 أكتوبر 1849م

---

[1] إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 64.

[2] إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص 91.

[3] أحميدة عميراوي، زاوية سليم، قاصرية محمد السعيد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، (عين مليلة -الجزائر)، 2009، ص 40.

[4] **هيربيون:** الجنرال هيربيون إيميل من مواليد 1794م شارك كجندي متطوع في الجيش الفرنسي سنة 1813، استقدمه الجنرال بيجو حيث تقلد معه رتبة مقدم سنة 1841 ثم رتبة عقيد سنة 1846، ثم أصبح قائد مقاطعة قسنطينة، ساهم في احتلال الأوراس وواحة الزعاطشة.**أنظر:** بيرم كمال، توسع الإحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية(تقرير مخطوط الضابطان بورال borel، وهيربيون_herbillon1849)، **مجلة البحوث التاريخية**،ع 01، مارس 2017 ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 97.

على الساعة الثالثة صباحا[1]، مستغلا الظروف الفصلية الملائمة لتحرك الجيش الفرنسي، حيث تعرضت الواحة لقصف مدفعي مركز، فاستنفر بوزيان عن طريق إرسال النجدات من الأعراش والزوايا، حيث قدمت من بوسعادة وأولاد نايل وواد سوف وحتى من نفطة يقودهم محمد الصغير بن أحمد بن الحاج[2]، لكن بعد وصول الإمدادات الاستعمارية، تحت قيادات عرفت بالقمع[3]، أعطوا إشارة لعمليات الإبادة الجماعية الشاملة في 28 نوفمبر 1849، وبالتخريب الكلي للواحة والقتل الجماعي دون تمييز[4].

وبعد معارك طاحنة احتلت القوات الفرنسية كل الشوارع والساحات والسطوح، وحوالي الساعة التاسعة صباحا وضع العدو في دار بوزيان التي بقيت قائمة من الألغام ونسفت بمن فيها، ومن وسط الركام خرج بوزيان فانهال عليه العدو بالضرب إلى أن سقط شهيدا، وأقام هيربيون مقصلة رفع عليها ثلاث رؤوس: رأس بوزيان ورأس ابنه ورأس موسى الدرقاوي[5].

انتهت المقاومة بخسائر كبيرة بالنظر إلى أنه تم قطع أزيد من عشرة ألاف نخلة ورميها في الخندق[6]، وكانت حصيلة هذه المجزرة سقوط أكثر من ألف مجاهد والعدد مضاعف في

---

[1] العربي بلعزوز، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849 على ضوء الكتابات الأجنبية: **مجلة العصور الجديدة**، مج 8، ع 1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ماي 2018 م، ص 136.

[2] محمد الصغير سويسي، ثورة الزعاطشة (دوافع وأسباب الفشل)، **المجلة الخلدونية** ، ع03، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني" بسكرة عبر التاريخ "، ص- ص 47-48.

[3] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية ، المرجع السابق، ص- ص 57-58.

[4] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ج 1، ص 355.

[5] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 82.

[6] أحميدة عميراوي، زاوية سليم، قاصري محمد السعيد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 42.

صفوف السكان العزل، وبعد أن تمكن الاحتلال من القضاء على مقاومة الزعاطشة في 26نوفمبر 1849، انسحب بعض المجاهدون إلى قرية نارة بالأوراس، فتبعهم العدو الذي قضى على من في القرية جميعا، وأحرق جميع الممتلكات، وكان ذلك في 5جانفي 1850.[1]

3-2 ثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي :

بعد النداء الذي وجهه الشيخ بوزيان إلى زعماء المناطق المشهود لهم بالكفاءة، لبى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي[2] النداء، فعمل على توحيد قوته حيث لقي تأييد مطلق من طرف الأهالي، وقام بإعلان الثورة ضد المستعمر سنة 1849 من أجل نصرة الدين الإسلامي ونصرة الشيخ بوزيان[3] وألف جيش يقدر بألفين شخص، والذي يتكون من أهل الخنقة وليانة وبادس وزريبة الوادي وأهل الجبل الغربي، كما عمل على استمالة القبائل المجاورة له، حيث تقدم الصادق بلحاج بمائتي فارس لمؤازرة هذه القوات ونسق جهوده مع الشيخ عبد الحفيظ الخنقي[4].

---

[1] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، المرجع السابق، ص 60.

[2] **عبد الحفيظ الخنقي:** العالم المتصوف والمجاهد المقاوم، عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجلي الهجرسي الإدريسي الحسني الخنقي، وتضيف المصادر والمراجع لفظ الحفيظي وأخرى لفظ الوانجني، نسبة لقوم أشراف في جبال الأوراس من كبار أساتذة الطريقة الرحمانية. **أنظر:** إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون، مج 05، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 503.

[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص 90.

[4] الجمعية الناصرية، في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602-2002 ، دار الهدى للنشر والتوزيع، (عين مليلة – الجزائر)، 2002م ، ص 22.

سار الموكب باتجاه بسكرة مارا بواحات وقبائل الزاب الشرقي، وجبال أحمر خدو وصولا إلى بلدة مشونش، ثم النزول إلى عند مضيق فم الغزرة واد براز[1] قرب واحة سيدي عقبة ، بعد هذه المسيرة الطويلة استطاع الشيخان جمع عدد كبير من المجاهدين[2].

في 17 سبتمبر 1849 وصل الموكب إلى بلدة سريانة، فأصدر الشيخ عبد الحفيظ أمره بحط الرحال والتمركز على الضفة الغربية لوادي براز، وفي هذه الأثناء قام بمراسلة بن شنوف يطلب منه العون[3]، إلا أنه قابل طلبه بالخيانة حيث أسرع بإبلاغ السلطات الفرنسية بالأمر، وعندما وصل الخبر للقائد سانت جرمان قام بتجهيز قواته، فأسندت القيادة للعميل بولخراص الذي توجه إلى قرية تهودة لأنه كان يظن أن القوات متواجدة داخل القرية قبل وصول القائد سانت جرمان الذي علم أن قوات الشيخ عبد الحفيظ متمركزة على ضفاف واد البراز فحول وجهته إلى الوادي[4].

وبعد هذا التخطيط الأولي الذي قام به القائد سانت جرمان وأعضاء قيادته لمواجهة قوات الشيخ عبد الحفيظ، خوفا من اتساع رقعة المساندة وذلك من خلال سحق المقاومة في

---

[1] **واد براز**: ترجع تسمية واد براز عند بعض الروايات إلى عهد الفتوحات الإسلامية الأولى، حيث وقعت مبارزات عديدة على مجرى الوادي، ولذلك سمي بوادي براز وهو مجرى مائي ينبع من جبال الأوراس وبالتحديد من قمم شيليا، **أنظر** : إلى عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الإحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859 م، المرجع السابق، ص 97.

[2] سليم كرام، الشيخ عبد الحفيظ الخنقي (فارس مقاومة الكرامة في وادي براز)، **المجلة الخلدونية**، ع 03، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ "، ص 124.

[3] عثماني مسعود، الأوراس الكرامة وأمجاد وأنجاد، دار الهدى، (عين المليلة – الجزائر)، 2008م، ص 77.

[4] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 64.

مهدها، قام كذلك باستنفار القوات الفرنسية الموجودة آنذاك في باتنة[1]، وبعدها قصدوا موقعة المعركة، فلم يجدوا إلا عدد قليل من الحراس، فاستطاعوا بسهولة أن يتمركزوا ويفرضوا الحصار على كامل المنطقة[2].

ومع صوت أذان الفجر انهالوا عليهم بوابل من الرصاص معلنين عن بداية المعركة، ورغم الحصار إلا أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أمر ببدء الهجوم على القوات الغازية[3]، فاستطاعوا في الساعات الأولى من المعركة أن يهزموا جانب كبير من القوات الفرنسية ويلحقوا الضرر بصفوفها، كما استطاعوا قتل الضابط سانت جرمان [4].

اشتّد الصراع بين الطرفين خاصة في الصفوف الأمامية، حيث أحكمت القوات الفرنسية الحصار على الثوار، فبرز الضعف في صفوفهم نتيجة عدم التكافؤ في المعدات الحربية واعتماد العدو على نصب الكمائن[5]، وما لبث حتى أعطى الشيخ عبد الحفيظ أمرا لجيوشه بالانسحاب، تاركا في ميدان القتال ما يزيد مائتي شهيد[6]، وقصد الاعتصام بالجبال المجاورة ريثما ينظم صفوفه ويجمع قواته استعدادا للهجوم مرة أخرى[7].

---

[1] الجمعية الناصرية، المرجع السابق، ص 23.

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 60.

[3] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 64.

[4] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص-ص 60-61 .

[5] كحول عباس، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1844-1859، المرجع السابق، ص 106.

[6] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 61.

[7] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 60.

بعد أن نجا الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في المعركة عاد إلى الخنقة من أجل جمع قواته، حيث عقد اجتماع يوم 4 نوفمبر1849، جمع بين القادة الثلاث (الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، والصادق بالحاج، ومحمد الصغير بالحاج)، تمكنوا من خلاله جمع حوالي ألفين وخمسين مجاهد[1]، ثم قام بعدها بالتوجه نحو واحة الزعاطشة لتخفيف الحصار، إلا أن قلة الإمكانيات أجبرت الزعماء العدول عن المساعدة خاصة بعد وصول الدعم إلى الواحة[2].

في أثناء قيام فرنسا بحملات القمع ضد القبائل المساندة لثورة الزعاطشة، وصلت الحملة العسكرية إلى قرية سيدي ناجي سنة 1850م، فقام القائد أرناند (Arnand) بمراسلة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي عارضا عليه السلم مقابل التعامل مع فرنسا[3]، إلا أن الشيخ الخنقي رفض ذلك وقرر الرحيل إلى منطقة الجريد التونسي.

توفي الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في 13 جويلية 1850، وتضاربت الروايات حول سبب وفاته، حيث تذكر التقارير الفرنسية أنه توفي بمرض الكوليرا، بينما يذكر البعض أنه توفي معتلا لما أصيب به في المعركة[4].

[1] كحول عباس، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الإحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1844-1859 ، المرجع السابق، ص 112 .

[2] سليم كرام، المرجع السابق، ص 128.

[3] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 67.

[4] الجمعية الناصرية، المرجع السابق، ص 23.

3-3 مقاومة سيدي الصادق بلحاج 1859:

مرت حياة الشيخ الصادق بن الحاج بالعديد من المعارك والانتفاضات التي ترفض بشكل مطلق الاستعمار الفرنسي، فاستغل مركزه الديني كشيخ للزاوية الرحمانية وراح ينشر أفكاره المعادية للاستعمار ويدعوا للجهاد ضدهم فنجح في تحريض الكثير على العدو[1].

1- الأعراش التي ساندت الثورة:

لقد ساندت أعراش احمر خدو و الزاب الشرقي والاوراس مقاومة الصادق بن الحاج[2] من الوهلة الأولى في معارك مشونش 1844م والقنطرة وسريانة 1849م[3] وغيرها أما شخصيا فمن خلال مريديه كابن كريبع أو البخاري أو حتى محمد الصغير بن لحاج خليفة الأمير عبد القادر ومقدميه حمودة والطلبة كابن دردور، وقد راسل الصادق بن لحاج لسي محمد بن عبد الصمد وهو مقدم في نواحي باتنة يحثه على استغلال الوضع للتحرر من المحتل

---

[1] عثماني مسعود، لأوراس الكرامة أمجاد وأنجاد، المرجع السابق، ص 84.

2 **الصادق بن لحاج** : هو الشيخ محمد بن الحاج الطاهر بن بلقاسم بن الحسين بن منصور المشهور بـ" الصادق بن الحاج " المولود سنة (1206هـ / 1791م) في قرية لقصر أين نشأ و حفظ القران الكريم ثم انتقل الى زاوية برج بن عزوز للتزود بالمعارف الدينية واللغوية فسلك الطريقة الرحمانية آنذاك حتى أصبح مقدما لها، فتح أول واكبر زاوية بالأوراس في جبل احمر خدو فقصدها المريدون من كل مكان ولم يقتصر دورها في الجانب الثقافي وتأمين المأوى والطعام للمتعلمين بل تعداه للدور الجهادي. **أنظر**: "مقاومة الصادق بلحاج 1858م"، **الملتقى الوطني الثاني حول المقاومات الشعبية بمنطقة الزيبان**، يومي 30-31 ماي 2015، المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني، بسكرة.

[3] **معركة سريانة:** لما قرر الشيخ بوزيان إعلان الثورة بواحة الزعاطشة ضد الفرنسيين أراد دعما من القبائل فقام بمراسلة الزعماء الدينيين لمشاركتهم في الكفاح فكان أول من لبى النداء هو عبد الحفيظ الخنقي شيخ الزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي، الذي حظي بتأييد الاعراش المحاذية له " أولاد عبدي، بنو سليمان، بني اوجانة " فكون جيش واستقر به في وادي براز قرب واحة سريانة بدائرة سيدي عقبة وذلك في سبتمبر 1849. **أنظر**: بسكرة " أسوار من حضارة"، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، س، ن)، ص39.

وكذلك فعل مع أولاد بوعون ومع ابن قانة يطلب منه الكف عن مساندة فرنسا[1] ويتبين ان مقاومة الصادق بن الحاج عمت مناطق واسعة من الاوراس والصحراء حيث شارك أكثر من أربعين عرشا[2]

2 – أسبابها:

تعود أسباب قيام انتفاضة الشيخ الصادق بن الحاج إلى عدة عوامل نذكر منها:

- إصدار فرنسا لمنشور 1856 والذي يلزم سكان بسكرة بإرسال أولادهم الى المدرسة الفرنسية وقد رفض الصادق بن لحاج هذا المنشور وبدا بدعوة المناطق المجاورة لمقاطعة هذا القرار، هذا ما دفع الفرنسيين لتضييق الخناق على حرية الإخوان فقاموا بالانتفاضة في 1858م[3].
- توجيه القوات الفرنسية أنظارها نحو الجنوب خاصة بعد إحكام سيطرتها على جبال جرجرة سنة 1857م، واستعانتها في ذلك بأعوانها الذين أغرتهم بالمناصب والألقاب لتحقيق أطماعها، وهذا ما زاد في تذمر الأهالي ورفضهم للوجود الاستعماري[4].

---

[1] عباس كحول، قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844– 1859م ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، (بسكرة – الجزائر)، 2015م، ص 40.

[2] أحميدة عميراوي، محاضرات في تاريخ الجزائر، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999 م، ص– ص 106–107.

[3] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1985م، ص20 .

[4] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ، ص– ص 71–72.

- انتهاء ثورة الزعاطشة بالفشل أثرت كثيرا في الشيخ الصادق بن الحاج، خاصة استشهاد الشيخ بوزيان الذي قتل بطريقة وحشية، مما زاد في كراهيته وعدائه لفرنسا، ولهذا قرر الانتقام لشهداء الزعاطشة وغيرهم فراح يهيأ الظروف والأسباب للإعلان عن الجهاد والثورة على فرنسا.

3 – سير الثورة :

بعد أن طلبت السلطات الفرنسية من أعوانها بالمنطقة بمضايقة الشيخ الصادق بن الحاج ورصد تحركاته لمنعه من الاستعداد وإعلان الثورة، جعل هذا الأخير يشرع بإرسال رسائل سرية بواسطة أولاده إبراهيم والطاهر والغزالي إلى مناطق وهيئات مختلفة يحرض فيها الأعراش ورؤساء الزوايا الرحمانية على مقاطعة الاستعمار والاستعداد للمقاومة مذكرا بالملاحم البطولية لكل من أبطال الزعاطشة وسريانة[1]، كما قام بجمع المؤونة والسلاح والذخيرة من داخل الزاوية وخارجها مركزا على قريتي مشونش وغوفي اللتان كانتا مستودعا للذخيرة، كما امتد نطاق دعوته الى منطقة الصحراء الشرقية، والى غاية شهر نوفمبر 1858م كانت حركة الشيخ الصادق بن الحاج سرية[2] لكن بعد هذا التاريخ بدأت الأمور تأخذ مجرى مخالفا بعد أن بدأ ابنه إبراهيم كتابة الرسائل باسم أبيه ويبعث بها إلى أهل المناطق المحيطة بجبل أحمر خدو يدعوهم فيها إلى الاستعداد للجهاد والانضمام للمقاومة

[1] عباس كحول، قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844– 1859م، المرجع السابق، ص 58.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 73 .

التي سيعلنها والده، وحدث أن بعث برسالة مع أحد مريدي والده لخضر بن كريبع او ما يعرف باسم(لوغريب) إلى قرية سيدي عقبة، وعندما حاول هذا الأخير أن يقرأ الرسالة أمام الناس في سوق القرية، اعترض سبيله مجموعة من أنصار بن شنوف محاولين قتله، مما جعله يفر إلى دار مقدم الزاوية الرّحمانية بسيدي عقبة ويحتمي بها[1].

هنا انكشف أمره وأمر سيده سي الصادق بن الحاج، وبعد المشادات العنيفة التي وقعت بين ابن كريبع وبن شنوف، قام هذا الأخير في أكتوبر 1858م بمراسلة فرنسا وكشف لها عن مخططات الشيخ الصادق بلحاج وعن نيته في تفجير الثورة والاستعدادات التي يقوم بها، فتخوفت فرنسا من أن تصبح كثورة الزعاطشة فرمت بكل ثقلها لمواجهتها والقضاء عليها وهي في مهدها[2].

في 12 جانفي 1858م قام الجنرال قاستو Gasto وديسفو Desvaux[3] في حركة منسقة مع أولاد بن شنوف بتعبئة وتجنيد قوات كبيرة بلغ عددها ستة ألاف مقاتل أواخر نوفمبر 1858م ووقع أول اشتباك بين القوتين في 16 نوفمبر أما الثاني فكان 30 من نفس الشهر بمساعدة بن شنوف ضد القبائل المتحالفة وكان الهدف من هذا الهجوم هو ربح الوقت واستنزاف قوة المقاومين، وفي 10 جانفي 1859م انطلق الجنرال ديسفو من معسكره

[1] عثماني مسعود، أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد، المرجع السابق، ص- ص 85 -86.

[2] عباس كحول، المرجع السابق، ص 62.

[3] ديسفو: قائد منطقة باتنة العسكري.

بشتمة[1]على رأس فيلق يتكون من ألفين وتسعمائة واثنان وستون من رماة البنادق وأربعمائة وواحد محارب وفرقة مدفعية وكتيبة إسعاف، أما المقاومون فبلغ عددهم ألف وخمسمائة رجل وأول تصادم بين القوتين كان في منطقة تينوجلين tounegaline[2] دام الاشتباك بينهم نصف يوم أصيب فيه عدد معتبر من المقاومين أما صفوف القوات الفرنسية فقتل جنديان وجرح خمسة عشر جندي آخر وهذا ما سمح للعدو بمواصلة طريقه نحو منطقة لقصر[3] وعند وصول الجيش الفرنسي إلى منطقة سيدي مصمودي قام بتقسيم قواته الى قسمين[4]:

القسم الأول: بقيادة ديسفو وقسمه إلى جزئين الأول جعل منه حزاما على طول خط الزاب الشرقي متمركزا في الواحات للمراقبة وضرب الحصارعلى المقاومين، أما الجزء الثاني فتوجه الى سيدي مصمودي حيث يوجد الشيخ الصادق بن الحاج بقصر أولاد أيوب .

القسم الثاني: يتكون من الصبايحية وقد سلك طريق مشونش وبانيان إلى غاية غوفي لمحاصرة أحمر خدو من الجهة الغربية [5].

---

[1] عباس كحول، المرجع السابق، ص 63.

[2] **اتينوجلين:** لواقعة على بعد 09 كلم من واحة سيدي مصمودي.

[3] **لقصر:** بلدة وواحة على سفح جبل أحمر خدو على حافة واد لخناق، بها آثار البلدة والزاوية العامرة والقلعة المهدمة سنة 1859م، خالية من السكان حاليا.**أنظر:** عباس كحول، "حواضر وبلدات جبل أحمر خدو"سيدي مصمودي ومزيرعة وتاجموت"، **الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ)، حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، أيام 23 24،25،26، ديسمبر2014، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، الجمعية الخلدونية، 2014، بسكرة، 2017، ص 145.

[4] عباس كحول، المرجع السابق ، ص 64 .

[5] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20 م، المرجع السابق، ص 105.

وفي ليلة 13 جانفي 1859م تمركز العدو بقواته بشعبة هنقلين[1] وعند الصباح بدأت المعركة حيث استعمل العدو كل أنواع الأسلحة (رشاش– مدافع) واستمر الهجوم الى أخر الليل وقاوم الشيخ الصادق وأبنائه هذا الهجوم بكل بطولة [2].

لكن أمام تحكم العدو بالمعركة وتضييقه الخناق على المقاومين بالإضافة إلى التفوق في مجال الأسلحة مكنهم من إخماد الثورة وفرار الشيخ الصادق بن الحاج إلى الجنوب التونسي حيث يوجد أتباع الأمير عبد القادر رفقة بعض من أتباعه وعائلته وعند وصولهم إلى خنقة سيدي ناجي فوقع الشيخ الصادق بن الحاج في الأسر بعد ان غدر به ابن شنوف والميهوب[3] فقد ألقي القبض عليه من طرف فرنسا، في مكان بين زريبة الوادي نقرين مع ابنيه سيدي الطاهر وسيدي إبراهيم و 8 مجاهدا ومنها نقلوا إلى خنقة سيدي ناجي ثم بسكرة حيث تم توجيههم إلى سجن قسنطينة للمحاكمة[4].

4–نتائج الثورة:

أما نتائج هذه الثورة فقد كانت وخيمة جدا على أهل المنطقة بصفة عامة، وعلى الشيخ سي الصادق بن الحاج وأبنائه ومريديه من أتباع الطريقة الرحمانية بصفة خاصة، نذكر أهمها:

---

1 **هنقلين:** تقع المنطقة في الجنوب الشرقي بجبل أحمر خدو وهي عبارة عن شعبتين يفصل بينهما وادي وتبعد عن قرية لقصر ب 15 كلم.**أنظر:** شلبي شهرزاد المرجع السابق، ص 76.

2 عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، مطبعة سوف الوادي (الجزائر)، 2000 م، ص 57.

3 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 م، المرجع السابق، ص 105.

4 الأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص 93.

- تعرض قرية أولاد أيوب كذلك مقر زاويته تيبرماسين[1] للهدم والتدمير في 14 جانفي 1859 .[2]
- تدمير جميع القرى والقلاع في الجهتين الشرقية والغربية لجبل احمر خدو، فتم تدمير قرية غوفي مستودع الذخيرة تدميرا كليا وحجز سكانها وتعذيبهم، كما تعرضت بانيان لنفس المصير.
- بالإضافة إلى ما سلطوه على الشيخ سي الصادق وأبنائه من تعذيب وسجن ونفي وتشريد داخل الوطن وخارجه بين جزيرة مارقاريت و الجزائر العاصمة [3].
- إلقاء القبض على الصادق بن الحاج وأفراد عائلته وأصدر في حقهم حكم الإعدام هو وأبنائه غير أن نابليون خفف عليه الحكم من الإعدام إلى المؤبد حيث نقل إلى سجن الحراش بعد الحكم وبقي فيه إلى أن توفي سنة 1862م [4] ودفن بمقبرة تيبرماسين.

إلا أن هذا الأسلوب الوحشي الذي استخدمه المحتل وتعامل به مع الثوار، لم يمنع من اندلاع ثورة أخرى سنة3711 هـ / 3122 م في واحة العامري، التي تقع على بعد 81 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة، وكانت بزعامة المقدم الرحماني أحمد بن عياش شيخ آل

---

[1] **تيبرماسين:** ثامرماست أو ثمرماسين خففت الى تيبرماسين أي "موطن السادة"، بها مقر زاوية تيبرماسين التي بنيت بعد 1872م، ومقام الشيخ الصادقين الحاج وأبنائه، خالية من السكان حاليا. **أنظر:** عباس كحول، حواضر وبلدات جبل أحمر خدو"سيدي مصمودي ومزيرعة وتاجموت"، المرجع السابق، ص 145 .

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 77.

[3] كحول عباس، قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844– 1859 م، المرجع السابق، ص 67.

[4] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 78.

جابري أو الجبابرة، والشيخ أمحمد يحي بن محمد شيخ أولاد إدري، وأبدى السكان خلالها بطولة وشجاعة رغم قلة إمكانياتهم المادية والبشرية.

الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

أولا: النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

ثانيا: النشاط الحرفي في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

ثالثا: النشاط التجاري في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

تمهيـــد:

إن إقليم الزيبان إقليم صحراوي يتميز بمناخ وظروف طبيعية جدّ صعبة يجعله يختلف عن غيره من الأقاليم الأخرى في الجزائر، ولكن واقعه المعاشي يعد بسيطا لارتباطه بالطبيعة التي حددت مسارات الحياة الاقتصادية، فكيّف الفرد حياته ومتطلباته بما يتوافق ومعطيات بيئته، التي كانت بسيطة تتمثل في الضروريات من الغذاء والكساء هدفه في الأخير تحقيق الاكتفاء الذاتي وفق الإمكانيات المتوفرة، وهذا النشاط الاقتصادي في أساسه يتمحور حول الأنشطة المعهودة التي يمارسها الفرد الزيباني كباقي الأفراد من المجتمع الجزائري الريفي وهي: الفلاحة والصناعة الحرفية والتجارة.

وعلى هذا الأساس سيتم التطرق إلى مظاهر الحياة الاقتصادية في المنطقة خلال الفترة الاستعمارية منذ الاحتلال سنة 1844 إلى غاية سنة 1954م.

أولا: النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي

1-الزراعة:

يختص إقليم منطقة الزيبان عن العديد من الأقاليم المجاورة بكونه إقليما فلاحيا، يركز نشاطه على زراعة النخيل، حيث تلعب البيئة دورا هاما في تحديد نوعية الزراعة، وبيئة منطقة الزيبان تستوجب زراعة النخيل المعروف بمقاومته للجفاف والملوحة، وطول جذره الذي يساعده على البحث عن المياه، وبذلك يعتبر إنتاج التمور القاعدة الاقتصادية المحلية لسكان الواحات.

كانت الزراعة في المنطقة زراعة معاشية للإقتتات لاغير، ومن الطبيعي وبحكم البيئة الصحراوية للمنطقة أن تسود زراعة النخيل على أوسع نطاق، فقد أشار الرحالة نيال أوديلون (Niel Odilon) في كتابه جغرافيا الجزائر إلى عدد النخيل في كل من واحة بسكرة والقنطرة بقوله"إن واحة بسكرة تمثل غابة بمئة وأربعون نخلة... وواحة القنطرة تظم مائة وخمسون ألف نخلة وأعداد كثيرة من أشجار المشمش"[1]، أما أحمد توفيق المدني فيصف واحة بسكرة ويقدر عدد نخيلها بقوله: "إن عدد نخيل واحة بسكرة يقدر بمائة وخمسون ألف نخلة وعدة آلاف من الأشجار المثمرة" وتكلم عن ميعاد إثمار النخيل بقوله:"والنخيل يثمر في السنة السادسة أو السابعة من عمره إلا أن العرجون لا يستقيم حجمه وثمره إلا حتى بلغت النخلة

[1]Niel Odilon .Géographie de l'Algérie .Ta . Imprimerie d'agenda 1876 . p 402 .

سن العشرين، أما إنتاج النخلة فهو يتراوح بين أربعين وستين كيلو في السنة"[1]، ويذكر في كتابه الجزائر أن واحة أولاد جلال بها خمسة وعشرون ألف نخلة[2].

ويشير الرحالة ليدر(S.H.Leeder) أن نخيل منطقة الزيبان عامة وواحة بسكرة خاصة ينتج تمرا من أجود الأنواع في العالم، حيث سنة 1909 زار المدينة وأحصى لنا عدد النخيل وثمنها بقوله:"كانت النخلة آنذاك تساوي ثلاثين فرنكا،...أن عدد النخيل في واحة بسكرة هو ثلاثون ألف نخلة"، وكذلك يصف ثقل ضريبة النخيل[3] التي فرضتها فرنسا على كل نخلة، بحيث يدفع صاحبها نصف فرنك حتى ولو كانت غير مثمرة[4].

وبالنسبة للإحصائيات لسنوات (1916 . 1917 . 1918) أي أثناء السنوات الثلاث الأخيرة للحرب العالمية الثانية تظهر أن عدد النخيل في واحة بسكرة لم يزد وبقي عددها عند (957 . 567 نخلة) في حين واحة أولاد جلال إزداد عدد النخيل ففي سنة 1916 كان (219 . 72 نخلة) وفي سنة 1917 بلغ عدد النخيل (129 . 74 نخلة)، أي بفارق (1910

[1] فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية " الرحالة و الجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، (عين مليلة، الجزائر) ، (د . س . ن) ، ص 164 .

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د.ط ، (د . د . ن)، (الجزائر)، (د . س . ن)، ص 195 .

[3] S .H .Leeder, the desert Gate, Biskra and thereabouts, London .1910, p 73.

[4] **ضريبة اللزمة:**هي ضريبة خاصة بالنخيل ويحدد الحاكم سنويا رسوم لكل نخلة بخمسة وعشرون إلى خمسين سنتيما حسب كل منطقة. **أنظر**: حورية طبعة، السياسية الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870 . 1954 م، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار ، 2020، ص 158 .

نخلة)، أما سنة 1918 فلم تزدد زراعتها كثيرا خلالها فبلغ عددها (74.555 نخلة)، أي بفارق (426 نخلة)[1].

أما المحاصيل الغذائية فهي قليلة لا تزيد عن حاجة السكان المحليين، حيث يقوم الفلاحون بزراعة الحبوب من قمح وشعير(أنظر للملحق رقم 03) والخضروات تحت النخيل أو بينها (زراعة الطوابق) فهي تعطي الفرصة للتوفير يتمثل في الاستغلال التام للتربة والمياه المتوفرة من خلال الظل الذي يخلفه النخيل[2].

إلى جانب أشجار النخيل فإن أغلب هذه الغابات هي أشجار مثمرة مثل أشجار التين والمشمش وهو المنتوج الذي يحتفظ به الملاك، أما الإنتاج الفلاحي الخاص بالخضر فإنه يكتسي أهمية خاصة في منطقة الدوسن[3] .

وقد أشار الرحالة سعيد أبو بكر التونسي أثناء زيارته لمنطقة الزيبان على الحياة الفلاحية عن كونها تكاد تنحصر في التمر بجميع أنواعه بالإضافة إلى الحمضيات بقوله " ... يكثر عندهم وجود نوع من الليّم يطلقون عليه اسم (التشينة) وهو أقرب ما يقرب في طعمه إلى نوع الليّم التونسي يسمى في الساحل (لسان العصفور)"، كما وصف مدينة سيدي عقبة بأن أراضيها مشهورة بخصوبتها وأنها جيدة إلا أنه بالغ في ذلك حيث يقول "... قد سمعت من بعض من اجتمعت بهم فيها أن (البطيخة) الواحدة تصل عندهم إلى تسعين كيلوغرام

[1]لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان(إرهاصاتها و مسارها) 1919 - 1956، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله ، 2017، (غير منشورة)، ص 123 .

[2]بوخليفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة " الزيبان "، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2017، ص 98 .

[3] لخمسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان(إرهاصاتها و مسارها) 1919 . 1956، المرجع السابق ، ص 124 .

و(الخس) إلى ثلاث أرطال ويصل طول (الفول) إلى خمسة وستين سنتيمتر، الأمر الذي لا يكاد يصدقه السامع و الحال أنهم صادقون"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن منطقة الزيبان كغيرها من مناطق الجزائر تأثرت بالقوانين التي أصدرتها فرنسا بخصوص الأراضي، حيث كانت أراضي جماعية (العرش، الحبوس، القبيلة) تستغل من قبل الجماعة (العائلة أو الدوار) لهذا عمد الاستعمار على خوصصة الأراضي من خلال جملة من القوانين لعل أهمها قانون سيناتوس– كونسيلت (Sénatus-consulte) الصادر في 22 أفريل 1863 وقانون وارنيه(Warnier) الصادر في 26 جويلية 1873[2].

وبعد صدور هذه القوانين التي أباحت للمستوطنين التصرف في الأراضي، وتطبيقها على إجراءات البيع وتحويلها إلى المصالح خاصة لإثبات عقود الملكية الخاصة وتحديد أراضي العرش، تم بناء مئتان وأربعون مركز استيطاني جديد في الفترة ما بين 1871 و1875، وبدأت السلطة الاستعمارية بطرد الجزائريين من أراضيهم[3].

حيث قام عشرات المعمرين بإنشاء واحات جديدة بمساعدة السلطات الاستعمارية على مساحة تقدر بثلاثة آلاف هكتار، أي ما يعادل 5 % من المساحة الصالحة للزراعة الصحراوية انطلاقا من عام 1856م، خاصة منطقة الزيبان وتقرت لتوفرهما على المياه والآبار الارتوازية، وذلك في شكل مستثمرات فلاحية على النمط الحديث، بالإضافة إلى

[1] فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية، المرجع السابق، ص ص 173 – 176 .

[2] مريم بوراية ، النظام القانوني للأراضي الفلاحية في عهد الإحتلال الفرنسي للجزائر، **مجلة معالم الدراسات القانونية والسياسية**، ع 4، جوان 2018، المركز الجامعي، تندوف، ص 353 .

[3] مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830 - 1962، وزارة الثقافة ، الجزائر ، (د - س - ن) ، ص - ص 150 - 157 .

مؤسسات وشركات لخلق واحات في المنطقة المحصورة بين بسكرة وتقرت، وكانت الشركة الفلاحية الصناعية للجنوب الجزائري إحدى هذه الشركات التي اهتمت بإنشاء واحات النخيل[1].

ومن أشهر المستوطنين الذين أنشئوا المستثمرات عائلة المستوطن دي فور(Dufort) الذي نزل إلى واحة بسكرة عام 1848، وأثناء حصار الزعاطشة اشتغل في إمداد الجيش الفرنسي باللحوم والحطب فاكتسب من ذلك ثروة هائلة، ثم بعدها اتخذ من سهل لوطاية الخصيب مستوطنة، وأنشأ فيها في البداية مزرعة القطن ثم ألحق بها مزرعة أخرى للنخيل والكروم وأشجار الفاكهة من كل نوع وكان يزرع كل سنة مائة هكتار من الحبوب، ثم منحته السلطات الفرنسية على إثر قانون سيناتوس- كونسيلت مائة هكتار في هذا السهل على حساب أراضي العرش[2].

وكان قد أشار الرحالة نيال أوديلون إلى مزرعة لوطاية بقوله:"يوجد في واحة لوطاية النخيل وتنتشر فيها زراعة القطن وحقول الحبوب وتتميز كذلك بتربية النحل، وبها نموذج مزرعة السيد دي فور M. Dufort"[3].

وقد ضمت واحة فوغالة خلال بدايات القرن العشرين مزارع خضعت لملكية المعمرين على أساس الانتشار الواسع للكولون في تلك الفترة على أغلب المناطق ذات الطبيعة

[1]بوخليفي قويدر جهينة، المرجع السابق، ص - ص 101 - 102 .
[2]Fanon Narcisse, le livre d'or de l'Algérie .challanet et Cie éditeur Algérienne et colonial .paris, 1884, Tome 1, p - p 217 - 218.
[3]Niel Odilon, Op - cit. p 396.

الفلاحية في بلاد الزيبان عموما، وتواجد مزرعتين تابعتين للمعمرين الأولى مزرعة جون بيشر (John Becher) وهي عبارة عن مزرعة تضم عددا كبيرا من النخيل بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأشجار المثمرة (زيتون، كروم، الفواكه) وضمت المزرعة بناء كبيرا على شكل برج كان يستعمله مالكه لتخزين المنتوجات الفلاحية كذلك المزروعات والأعلاف الخاصة بالحيوانات، بالإضافة إلى جعله مركزا لحراسة المزرعة، أما الثانية مزرعة روزفال (Rozval) التي تحتوي على عدد هائل من النخيل وآبار سقي وأشجار مختلفة من زيتون وكروم وفواكه[1].

عمدت السلطات الاستعمارية على استبدال الزراعة المعاشية(قمح، شعير) للزراعة الصناعية، حيث تم إدخال تجربة القطن إلى منطقة طولقة من طرف المعمر بوشار (Buchere) بمساحة مائتي هكتار بتاريخ 2 نوفمبر 1920، كما حصل على امتياز آخر بمنطقة المقطوفة – شمال طولقة – بمساحة ثلاثمائة هكتار بتاريخ 14 أفريل 1922، بالإضافة إلى زراعة القطن تم استغلال المنطقة في زراعة الحبوب كالقمح والشعير والشوفان بمساحة خمسة وستون هكتار، والبرسيم بمساحة خمسة هكتار، والشمندر بمساحة خمسة عشر هكتار، وقد وجد المعمر بوشار صعوبة في إقناع أهالي المنطقة في زراعة القطن

[1] العيد قيداد، "حواضر لها تاريخ (فوغالة ، العامري ، الدوسن)"،**(الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر و مدن و بلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23–24–25–26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية،2017 ، ص 289 .

لاعتمادهم على الزراعة المعاشية بالرغم من أنه أنشأ مؤسسة صغيرة للنسيج من أجل استغلال القطن[1].

وبموجب المرسوم المؤرخ في 16 أكتوبر 1859 الذي يهدف إلى تشجيع زراعة القطن بالقطر الجزائري عن طريق اشتراك العنصر الأهلي أي استخدام اليد العاملة الأهلية لصالح الأوروبيين، تم بناء العديد من المزارع والمستثمرات الخاصة بالمستوطنين، وهي طموحات السلطة الاستعمارية في إحداث انقلاب شامل وتغيير كلي في الفلاحة التقليدية نحو تحويل زراعة الحناء والتبغ بمنطقة الزيبان إلى زراعة صناعية[2]، وقد كانت تمارس في مناطق الزاب الشرقي خاصة في واحة زريبة الوادي والفيض.

2_ الري:

كانت واحة بسكرة تسقى بشكل أساسي من واد بسكرة الذي يفيض في السنة مدة يومين إلى ثمانية أيام، بالإضافة إلى المنابع التي تتواجد بجوار أعلى الوادي، وهذا ما جعل الفلاحين يعتمدون على جلب الماء إلى غاية الواحة لسقي المحاصيل، أما واحات الزاب الشرقي كانت تسقى من الأودية القادمة من جبال الأوراس[3]، مثل واحة سيدي عقبة وزريبة الوادي وخنقة سيدي ناجي[4]، ثم هناك وادي الجدي الذي يأخذ منابعه بالقرب من مدينة آفلو

[1] بوخليفي قويدر جهينة، المرجع السابق ص 209.
[2] حورية طعبة، المرجع السابق، ص 74.
[3] بوخليفي قويدر جهينة، المرجع السابق، ص- ص 37 - 38 .
[4] فريح لخميسي، العقيد سي الحواس مسيرة قائد الولاية السادسة (1923 - 1959)، دار جسور للنشر والتوزيع، (المحمدية ،الجزائر)، (د - س - ن)، ص 27.

بجبال عمور مارا بمدينة الأغواط، الذي يسميه أهلها "وادي مزي" ليسقي واحة أولاد جلال ثم ينتهي عند شط ملغيغ[1].

كان الفلاح في منطقة الزيبان يستعمل آلة المشكودة وهي إناء من النحاس تشبه إلى حد كبير خوذة الجندي بها أنبوب يخترقها من الوسط طوله خمسة عشرة سنتيمتر وداخل جوانب هذا الوعاء تدريجات لحساب المدة، يوضع داخلها إناء كبيير مملوء الماء فإذا غرقت الآلة داخل الإناء تحسب ساعة كاملة، ثم يعقد الفلاح عقدة في سعفة خضراء حتى يتمكن من حساب عدد الساعات المخصصة للسقي، وعادة تستخدم في أوقات الليل وأوقات الغيوم، أما إذا كان الوقت نهارا والشمس مشرقة فإنه يستخدم ضله باختلاف الأوقات.

وقد كانت واحة أوماش تقوم بتقسيم حصص من المياه حسب كل عرش من أعراش الواحة لري أراضيهم الفلاحية، وتسمى الحصة بالنوبة وتقدر بأربعة وعشرون ساعة، و كانت لدى النوبة اسم حسب كل عرش[2].

وباعتبار منطقة الزاب الشرقي عموما فقيرة في المنابع، قامت السلطات الاستعمارية عام 1918م بالتدخل والسماح بفتح السد الموجود في جبال الأوراس لمدة عشرة أيام في الشهر(من نوفمبر إلى مارس) لسقي الواحات[3].

---

[1] أحمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، العربية للطباعة والنشر، الجزائر، 1984، ص 49.

[2] عبد العالي يعقوب، "بلدة أوماش حاضرة تقاوم الطبيعة والنسيان"،**(الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017، ص 363 .

[3] بوخليفي قويدر جهينة، المرجع السابق، ص 38 .

كذلك قامت ببناء منشآت مائية على الأودية الأوراسية لتدعيم واد العرب بالقرب من خنقة سيدي ناجي وواد مستاوة بالقرب من تاجموت، فقد كانت هذه الواحات تمارس الزراعة الصحراوية، ونظرا لوفرة الإنتاج الزراعي للحبوب كانت تنشأ المطاحن على طول السواقي الموجهة من الأودية، والغاية من إقامة هذه المشاريع الخاصة بالري هي الانتقال من الاقتصاد المعاشي إلى اقتصاد السوق، وذلك بتدعيم سقي النخيل على حساب الحبوب خاصة القمح والشعير في كل من واحات تهودة، قرطة، سريانة وسيدي عقبة[1].

كان الفلاح في منطقة الزيبان يعتمد في زراعته على أنظمة السقي التقليدية لتسهيل وصول المياه إلى محاصيله ومزروعاته، فقد كان يستخدم آلة الخطارة[2] والماجن[3]، بالإضافة إلى السواقي[4]، والميزاب[5].

وقد ذكر الرحالة ليدر أن سقي النخيل لا يتم إلا بإذن من القايد وبدون هذا لا يمكن أن يسقي الناس نخيلهم[6].

---

[1] بوخليفي جهينة، المرجع السابق، ص– ص 226 – 227 .

[2] **الخطارة:** هي آلة ثلاثية الأطراف تقام حول البئر، تتكون من ركيزتين من جذع النخلة، ولها عمود متحرك ممدود بين الركيزتين، وتلربط في مؤخرته حجرة ثقيلة تساعد على رفع الطرف الثاني الذي يعلق به الدلو المصنوع من سعف النخيل، ويشد بحبل مصنوع من ليف النخيل.(أنظر للملحق رقم02)

[3] **الماجن:** هو حوض من الجبس يكون ملاصقا للبئر وبه فتحات تتصل بالسواقي.

[4] **السواقي:** هي مجاري مائية تتصل بالماجن والميزاب، وتعد من الجبس فتكون طبقة فوق التربة تمنع تسرب الماء وتساعد على الوصول لسقي النباتات.

[5] **الميزاب:** هو حوض تكون جوانبه مرتفعة بعض السنتيمترات وبداخله تزرع مختلف أنواع الخضر، ويكون غالبا مستطيل الشكل.

[6] S.H. Leeder. Op-cit. p 73.

3_ تربية المواشي:

وهي المكمل الطبيعي للزراعة فهي تحتاج للماء كباقي أنظمة الإنتاج الزراعي، وتربية المواشي كالأغنام والجمال والماعز وأيضا الأحمرة التي تلعب دورا كبيرا في السقي والحرث.

وتعد تربية المواشي من أبرز الموارد المالية لسكان واحة أولاد جلال حيث تشتهر بسلالة تعرف بسلالة أولاد جلال، رغم أن هذا الصنف موجود في كل المناطق المحيطة بالواحة، وتسمى باللغة الفرنسية Le Mouton des Ouled -Djalal[1]، تتمتع هذه الفصيلة بسمعة كبيرة ومكانة عالية عند سكان المناطق الشمالية للجزائر، حيث كان سكان المنطقة يقومون بالمهاجرة في الصيف مع قطعانهم إلى السهول المرتفعة بقسنطينة[2]، لكن إنتاج الأغنام قد تناقص مقارنة بما كان قبل أواخر القرن التاسع عشر حيث يظهر أنه تناقص إلى أن يكاد يصل إلى النصف، ففي سنة 1893 كان قد وصل إلى مائة وخمسون ألف رأس في حين وصل سنة 1953 إلى ثمانين ألف رأس[3].

---

[1] محمد العربي حرز الله، "حاضرة منطقة أولاد جلال"، **الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ،"من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان"**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017 م، ص- ص 115- 116 .

[2]Mare Cote .guide d'Algérie Paysage et patrimoine .édition Media – media – plus .Constantine .2006 . p 332.

[3] لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصاتها و مسارها) 1914 . 1956 ، المرجع السابق ، ص 127.

ومن الأعراش التي اشتهرت بتربية المواشي هم: عرش الباوزيد والخذران والعمور[1]، كما اشتهرت منطقة الزيبان بتربية الخيول العربية الأصيلة والتي تعتبر من أجود الأنواع في العالم إذ لم تكن أفضلها على الإطلاق[2].

[1] الهادي درواز، من تراث الولاية السادسة، دار هومة للنشر، (بوزريعة، الجزائر)، 2009، ص 24 .

[2] عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ج 1، د ط ، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص 54.

ثانيا: النشاط الحرفي لمنطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي

تزخر منطقة الزيبان بتعدد الحرف التقليدية حيث أبدع سكان المنطقة في التعامل مع مخرجات الطبيعة وصنع منها مختلف المنتجات الحرفية التي تميزت بالإبداع والتنوع رغم محدودية الإمكانيات التي كانت متوفرة للحرفيين، وبهذا كان النشاط الحرفي لدى أهل المنطقة بسيط جدا يقترن عادة بالأعمال اليومية للمجتمع، فينجز الحرفي مصنوعات في غاية البساطة لكنها في غاية الأهمية لتسيير حياته، إذ كان يستغل كل الوسائل المتوفرة لديه ليحولها إلى أشياء ذات قيمة وأهمية، وكانت هذه الصناعات توحي من خلال أشكالها ورموزها وألوانها إلى عراقة المنطقة وحضارتها، وتنوع هذه الصناعات مرتبط ارتباطا وثيقا بمتطلبات الفرد الزيباني نذكرها فيما يلي:

1_ صناعة النسيج:

من بين الصناعات النسيجية المعروفة في المنطقة صناعة الأفرشة والأغطية والألبسة التي كانت تصنع محليا، ويُعتمد في انجازها على مواد أولية متوفرة بالمنطقة وبواسطة أدوات تقليدية من صنع محلي هي الأخرى، ومن المنتوجات النسيجية تلك التي تصنع من الصوف مثل " البرانيس والزرابي والأغطية ذات الشهرة الوطنية، حيث كانت تباع البرانيس الفاخرة في أسواق الجزائر وقسنطينة، وظلت هذه الصناعة مزدهرة بحيث أصبح كل بيت في المنطقة يملك منسجا عائليا[1] وهذا النوع من الصناعة تختص به النساء في الغالب، فهذا ما نجده

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية بسيدي خالد، المرجع السابق، ص387.

واردا في كتابات الرحالة الأجانب وعلى رأسهم **سامسون** الذي يذكر انه رأى النساء في منطقة القنطرة يصنعن الحايك والبرنوس[1].

ففي القرن العشرين ميلادي اشتهرت مدينة طولقة بهذا النوع من النشاط الحرفي فساد فيها نسيج الصوف والشعر والوبر والحرير، وكانت نساؤها تنتج كثيرا من الأنسجة منها الخيام الكبيرة (القامرة) والخيام العادية، بالإضافة إلى الأفرشة والأغطية والزرابي الصوفية المتنوعة والجيدة والألبسة الرجالية "البرانيس والقشاشب والقنادير والأثواب ذات الجودة العالية"منها التي صنعت من الصوف الأبيض وهي لباس العامة من الناس أما البرنوس المصنوع من وبر الجمال فهو للخاصة، والملابس النسائية منها "الجبب" المطرزة الجميلة وجيدة الصنع وهي مصنوعة من الصوف والحرير، كما كانت بها مصانع لصباغة هذا الصوف وجعلها ذو ألوان متنوعة[2].

[1] M .W,Hilton-Simpson, Among the hillfolk of Algeria (journeys among the shawia of the aurés mountains),London T. fisher Unwin Ltd-1921,P34.

[2] محمد قويدري، "بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد"، **(الملقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م، ص188.

وهناك أيضا صناعة السجاد والزرابي فهي من الصناعات الصوفية الشهيرة التي تنتشر كثيرا في أنحاء المنطقة مثلا منطقة ليشانة يشتهر أهلها بصناعة السجاد ذات الحجم الكبير والجميل[1] وهناك أنماط كثيرة من الزرابي التي تعرفها الزيبان تختلف من حيث السمك والحجم والشكل فنجد الزربية النموشية والزربية النايلية والرُّبعية والشاوية وغيرها وزيادة عن الزرابي الفاخرة والمتنوعة تنسج من الصوف أغطية مختلفة الأشكال والحجم تعرف بأسماء الحنبل أو الحولي أو الغطاء حسب المناطق[2]، وكان هناك معمل خاص بالزرابي للأخوات البيض يستخدمن بنات من مدينة بسكرة لنسج الزرابي عندهن ويتواجد هذا المصنع قرب باب الضرب مقابل مقبرة لعزيلات.[3]

صورة تبين لنا آلة المنسج وكيفية العمل عليها.

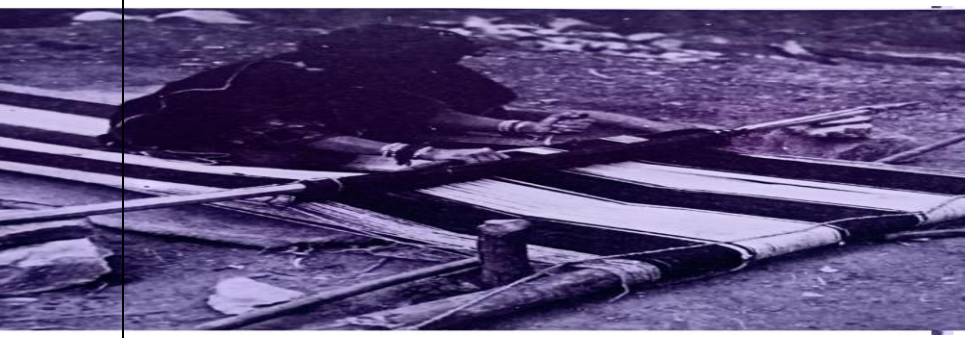

المصدر: Rivére thérèse, Aures,Algérie1935-1936, Edutions de la maison des sciences de l'homme, paris, 1987 p80.

والمهم في الصناعات النسيجية التقليدية أنها كلها تصنع بواسطة آلة تقليدية واحدة تعرف بالمنسج .

[1] عبد القادر صيد، "بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة"،**الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ)من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر2014م، الجمعية الخلدونية،2017م، ص 205.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص391.

[3] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 71.

2_ الصناعة الخزفية والفخارية:

هي عبارة عن حرف يدوية متقنة تحمل رسوما وتصاميم توحي بخصوصية المنطقة، وتعد من الحرف التقليدية التي لازمت الإنسان منذ القدم، بحيث كانت الأدوات الفخارية تلبي هي أيضا الحاجيات اليومية لسكان المنطقة مثل طهي الطعام وحفظ المياه، وتوارث الأجيال هذه الحرفة حتى أصبحت تحتل مكانة ممتازة حاليا، فقد أصبحت موردا اقتصاديا للكثير من العائلات، بل وكانت حتى في تلك الفترة تعتبر موردا يقتات به أهل المنطقة لقمة عيشهم وتعتبر مشونش والقنطرة أشهر مناطق الزيبان تخصصا بهذا النوع من الحرف[1] وتتمثل هذه الصناعة أساسا في الأواني المنزلية والتحف الفنية، وهي مصنوعة غالبا من مادة الطين"الصلصال" فيتم تشكيلها حسب الحاجة وبعدها تأتي المرحلة الثانية فتجفف على نار تكون حرارتها جد عالية إلى أن تأخذ شكلها وتتماسك، بعدها يتم تلوينها وزخرفتها بمختلف الأشكال والألوان وهكذا تصبح جاهزة للاستعمال[2].

3_ صناعة الجلود:

تعتمد حرفة صناعة الجلود على الذوق الرفيع في الإعداد والتحضير نظرا لمرورها بعدة مراحل قبل الصناعة (التنظيف، الغسيل، الغليان، الدباغة والصباغة)، ومن أهم المنتجات الجلدية التي كانت تصنع بالمنطقة هي: (النعال، الحقائب وغيرها)، فنجد أن واحة طولقة

[1] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، 41.

[2] مقابلة شخصية مع الزهرة عون(المولودة سنة 1929بالعامرة)، بزريبة حامد، بتاريخ 10 جوان 2021.

كانت منتشرة فيها هذه الصناعة كثيرا[1] فقد احتوت معامل لصنع الأحذية الجلدية (البلغة، الريحية والشبرلة)، كما يوجد فيها معامل لدبغ الجلود[2].

4_ حرفة الحدادة:

كانت حرفة الحدادة(أنظر للملحق رقم 04) متواجدة بالمنطقة بحيث كان الحداد يصنع سكك المحاريث والمناجل والسيوف والسكاكين (كان يشتهر بهذه الصناعة الطوارق الذين يأتون إليها)، أيضا السلاسل والأقفال والمفاتيح وألجمة الخيل، زيادة عن الأواني المنزلية، وقد انتشرت هذه الحرفة بكل من طولقة وسيدي خالد، ومن الحدادين الذين اشتهروا ببلدة سيدي خالد نذكر: المبروك بن موسى لهويمل، البركة بن عمر الهاني وأخاه محمد بالإضافة إلى لخضر بن برابح غربيّة[3].

5_ صناعات أخرى:

لا يمكن حصر الصناعات المحلية والحرف اليدوية كلها بمنطقة الزيبان فهي تنجز يوميا بواسطة أيادي ماهرة فتغطي جميع احتياجات البيوت والأسر ونذكر منها:

نسيج مادة الحلفاء التي تصنع منها الأفرشة (الحسير) والقفاف والأواني.

[1] Niel.odilom, op- cit, P403.

[2] محمد قويدري، "بلدات طولقة وبرج بن عزوز و فرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد"، المرجع سابق، ص188.

[3] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية بسيدي خالد، المرجع السابق، ص394.

وهناك أيضا سعف النخيل لتصنيع القفاف والأفرشة والزنابيل وحتى المراوح والمضلات التي توضع على الرؤوس للوقاية من حرارة الشمس، كذلك كان جريد النخيل يصنع منه ألواح السّدة وقضبانا لآلة المنسج وأقواس للعبة التلومة وكان يستخدم الجريد أيضا كوقود لإيقاد النار، أما جذوع النخيل فقد كانوا يصنعونها كأعمدة للبناء أو كسقف للمنزل، أو خشب لصنع الأبواب أو وقود لإشعال النار والتدفئة في فصل الشتاء، أيضا" الكرناف" كانت له أهمية فتصنع منه محكات النسيج.

صورة تبين صناعة من سعف النخيل"الزنابيل".

المصدر:.River Thérèse, Op-cit . p91

كما أن هناك صناعات تتم بشعر الماعز كالحبال[1].

هذا إضافة إلى صناعة المعادن الثمينة كالذهب والفضة واشتهر بهذه الصناعة "اليهود".[2]

صناعة الحلي التقليدي فهي صناعة تحمل أجمل الأشكال والأنواع وتصنع من المعادن الثمينة كالفضة والذهب وقد اشتهرت منطقة مشونش بهذه الصناعة [3] هذا إضافة إلى منطقة

[1] مقابلة شخصية مع أفرن علي(مولود بتاريخ 31جانفي1931 في تاجموت)، بزريبة الوادي، بتاريخ 21ماي2021م.

[2] Félix Hautfort, op - cit, p 10.

[3] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، 36.

طولقة فان يوجد بها صانعي المجوهرات الفضية والذهبية منهم مجموعة من أهل بن علي وخليفة اليهودي[1].

كما اشتهرت المنطقة بصناعة الآلات الموسيقية العربية المتعددة مثل آلة الناي[2].

وفي الحديث عن الحرف والصناعات التقليدية فقد كانت توجد أحياء خاصة بهذه الصناعات مثل حي العطارين بمدينة بسكرة، وقد اختص السكان الأصليون بهذه الصناعات بينما الأوربيين لم يهتموا بهذه الحرف بقدر ما اهتموا بتجارة المواد الاستهلاكية، البقالة، الخمور والمشروبات[3].

[1] محمد قويدري، "بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد"، المرجع السابق، ص188.

[2] L'Abbé Jean Hurabielle (ancien secrétaire du cardinal Lavigerie),Au pays du bleu. Biskra et les oasis environnantes. Paris, Augustin Challamel, Eduteur, 1899 p 38.

[3] سليمة بودخانة، بسكرة في عيون الفرنسيين معلما في الكتابات ومدار للرحلات"، **(محاضرات الملتقى الوطني الثالث عشر بسكرة عبر التاريخ)، بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، أيام 22-23-24 ديسمبر 2015، الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2018، ص- ص121-122.

ثالثا: النشاط التجاري في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي

تعد التجارة نشاطا هاما بالنسبة لسكان منطقة الزيبان، حيث نجدهم يمارسونها في أبسط أشكالها، لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية، بداية من الفلاح الذي يحمل إلى السوق كل من التمور والمزروعات المعاشية الزائدة عن احتياجاته، كما يحمل الفرد الزيباني من بيته المنسوجات المنتجة من طرف نسوته، فكانت هذه الأشياء تلقى رواجا كبيرا في الأسواق المحلية والخارجية والتجارة في منطقة الزيبان نوعين :

1_ التجارة المحلية:

إن الحركة التجارية نشيطة ودائمة وهذا حسب ما جاء في الكثير من التقارير الفرنسية[1]، وتعتبر من أهم النشاطات بالنسبة للسكان، فكانت تتم في كل القرى والمداشر العمرانية الكبرى أين تعقد بها أسواق خاصة دورية أسبوعية على مدى أيام الأسبوع، وتنعت هكذا بسوق الخميس، سوق الجمعة وهكذا وفي كل يوم يعقد سوق أو عدة أسواق في قرى معينة، يتجه إليها الناس باكرا من كل الجهات[2]، حيث يوجد في واحة طولقة سوق أسبوعي ينعقد يوم السبت، تعرض وتباع فيه مختلف السلع والمنتجات الفلاحية والحيوانية، ويعد من أكبر الأسواق في منطقة الزيبان[3].

---

[1] M.CH.Lutaut, situation générale des territoires du sud de L'Algérie pendant l'année 1913, imprimrimerie – libraire - Editeur, Alger, 1914 , p61.

[2] يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، **مجلة الثقافة** ، ع 80، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1981، ص 172 .

[3] محمد قويدري،" بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم و الدين ومحاضن الجهاد والاستشهاد"، المرجع السابق، ص 189 .

كانت التجارة تنشط في هذه الأسواق خلال فصل الربيع وفصل الصيف وفصل الخريف، أما فصل الشتاء فتتكمش بسبب قساوة البرد وقلة البضائع و المنتوجات[1] .

وقد كان الاهتمام بالنشاط الاقتصادي من أولويات الإدارة الفرنسية في مدينة بسكرة، لهذا تم إنجاز سوق تجارية سنة 1855م بالجهة الغربية للساحة الكبيرة العقيد بوتي(العربي بالمهيدي حاليا)، وأغلب الأوروبيين الذين زاروا المدينة تكلموا عن السوق خاصة أنه يعبر وبصدق عن حيوية النشاط الاقتصادي بالمنطقة [2].

صورة تبين لنا السوق المغطاة بمنطقة الزيبان

المصدر: Marcel Mommarché, Les Gvides, Blaus illustrés constantine,biskra,Elkatra-Timgad-touggourt,Aliprerie-Hachette, paris, 1923,p10.

حيث قام الرحالة هوتفورت (Houtfort) بوصف السوق الشعبي قائلا: "في الساحة المركزية أو ما يسمى السوق نجد هناك كل الأجناس من أوروبا إلى الشام إلى الأفارقة الزنوج الذين زحفوا من غدامس أو تشاد، من ورقلة ثم العرب وبني مزاب والأمازيغ والأتراك،

[1] يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص 173.

[2] عبد الحميد زردوم ، تاريخ بسكرة الفرنسية ، مطبعة المنار ، بسكرة ، 2004 ، ص 22 .

ونجد أيضا اليهود الذين يتنافسون مع بني مزاب في ميدان التجارة، فاليهود في مجال الذهب والآخرون في مجال القماش"[1].

يحتوي السوق على سلع المختلفة ففيه يتم عرض السلع القادمة من باريس، وأهم جهة تستقطب الزوار هي تلك التي تعرض فيها الزواحف المحنطة مثل سحلية محشوة بليف النخيل، وبعض الآلات الموسيقية وخاصة الناي بالإضافة إلى السكاكين مع مقابض من العظام والأغماد الجلدية الحمراء[2].

وقد أطلق الرحالة هوتفورت على السوق بالبازار أو البورصة لإحتواءه على كل أنواع السلع أو ما يمكنك بيعه، حيث يقول:" ... بينما نلاحظ المشوي للأثرياء تجد هناك بائع الجراد للفقراء، وتكاد تختلط روائح الصبغ مع رائحة القطران والبخور وروائح الإبل والخيول...فهذا البائع له خليط من الفلفل والتمور والتين، أما الآخر فيعرض البلغ المصنوعة من جلد الجمل، وأخرى من جلد الغزال وأنواع التجميل مثل الكحل والسواك واللوبان"[3] .

ومن السلع التي كانت تباع في الأسواق نجد التمور وهي عادة ما تكثر في فصل الخريف، غير أن أسعارها تتحكم فيها الظروف في كل عام، فمثلا سنة 1926 م كانت تباع

[1] Félix Hautfort, Op-cit, p09.

[2] سعدي شخوم، "صورة بسكرة في كتابات الرحالة الإنجلوسكسونين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، **(محاضرات الملتقى الوطني الثالث عشر بسكرة عبر التاريخ)،بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، أيام 22-23-24 ديسمبر، الجمعية الخلدونية ببسكرة، 2015، ص 77 .

[3]Félix Hautfort, Op-cit, p10.

تمر دقلة نور من 250 إلى 300 فرنك فرنسي، أما الغرس فكان من 130 إلى 140فرنك، بينما الكنتيشي دقلة يباع من 190 إلى 210 فرنك[1].

كما نجد الدهان"السمن" فهو كثير الاستهلاك، حيث ينتج محليا من خلال ثروة الحيوانات المتمثلة في الماشية[2]، أما الثياب فنجد ثياب الصوف التي تستخدمها النساء من أولاد الأكابر، بالإضافة إلى الحقائب والمحافظ والجلود الزاهية الألوان المطرزة والمزينة ذات المزركشة[3].

بالقرب من الفنادق تباع الإبل والحمير، حيث يجتمع كل الأهالي منطقة الزيبان الذين يمارسون التجارة أو الإقتناء حاجياتهم، يأتون على خيولهم أو على ظهور الحمير والبغال[4]، كذلك نجد الخضر والفواكه فهي محلية ذات استهلاك يومي، غير أنها قليلة لا تزيد عن الاكتفاء الذاتي[5].

وإلى جانب هذا النشاط التجاري يتم اللقاء والتعارف بين الأحباب ، ويتم تبادل الأخبار والمعلومات على كل مشاكل الحياة، ويتخذها المداحون مكانا لاستعراض قصصهم و حكاياتهم و أشعارهم الشعبية في حلقات كبيرة يرتادها الكثير للتسلية، كما يتخذها مدعو

[1] جريدة الحق، ع 4، 28 ماي 1926، المطبعة الصحراوية ، (بسكرة، الجزائر)، ص 40 .

[2]M.CH.Lutaud, situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les Années 1907 et 1908, imprimerie – libraire – Editeur, Alger, p58.

[3] سعدي شخوم، المرجع السابق، ص 77.

[4]Félix Hautfort , op- cit, p11.

[5]M.H.Lutaud, Année 1909, op- cit, p 92.

معرفة الطب والعلاج ميدانا لبيع أدويتهم العشبية ونشر دعاويهم السحرية، وعندما ينتصف النهار تنتهي هذه الأسواق ويفترق روادها إلى قراهم ومداشرهم[1].

وقد أعجب الرحالة هوتفورت بحياة الفرد الزيباني البسيطة، فهو يعطي صورة عن بساطة الإنسان، حيث خصص له مساحة كبيرة في تقريره، وعنون فقرة بـ"شعب يتاجر"، وبعد جولته بين أجناس وأعراف التجارة في السوق المزدحمة، خلص إلى تصنيف نوعية التجارة حسب التخصص الجنسي ليؤكد على التكامل وحسن التعامل التام بين كل أولئك الأجناس، وكأنه يريد التأكيد على أن المنطقة بلد التجارة الآمنة، تستقطب بسلامها كل الأجناس[2].

كان هناك نوع من أنواع التجارة المحلية يعرف باسم "الشحاتة" أي المقايضة، حيث يتم تبادل السلع وفق ما يتوفر في المنطقة، فمثلا في بلاد القبائل الصغرى يحمل الناس الزيوت والخروب والتين على الأحمرة والبغال، ويسافرون إلى المناطق التي تنتج القمح والشعير ويبادلونها بهذه الحبوب ويعودون بها إلى بلادهم، وهذه العملية تنشط في فصلي الصيف والخريف، ويمارسها الناس جماعات في قوافل معروفة حسب القرى والمداشر والدواوير[3]، إلا أن هذه العملية لم تكن تتم في كل مناطق الزيبان فمثلا في واحات الزاب الشرقي يتعاملون بالمال فلا يمكنك أخذ السلعة بالمقايضة[4].

[1] يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص 173 .

[2] Félix Hautfort, op- cit, p16.

[3] يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية .....، المرجع السابق، ص–ص 173–174.

[4] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

وهكذا كان السوق مركزا حيويا تجلب إليه البضائع المختلفة من أجل الاستهلاك المحلي أو قصد التصدير إلى الخارج.

3-2 التجارة الخارجية:

كان أهالي منطقة الزيبان خاصة البدو الرحل منهم يمارسون التجارة الخارجية، فقد كان هناك تبادل تجاري بينهم وبين سكان الشمال، وكانت تتم في فصل الربيع حيث يبيعون فيها منتجاتهم من تمور وأقمشة مصنوعة في الصحراء مقابل الحبوب أو الأدوات الحديدية[1].

وقد كانوا يستعملون الوسائل التقليدية مثل الإبل والسير بها يتم وفق قوافل تجمع ثلاث جمال أو تزيد، ويدعي أصحاب هذه المهنة بالمنطقة بـ"الحمالة" وظيفتهم نقل البضائع المحلية وجلب أخرى مستوردة للاستهلاك، ومنطقة الزيبان تتميز بتعدد خطوطها وطرقها كونها بوابة الصحراء وملتقى القوافل التجارية، هذا ما جعلها محط اهتمام من قبل السلطات الاستعمارية[2].

كانت التجارة تتم مع قوافل التجارة الصحراوية الكبرى التي تغدو وتروح بين الموانئ الشمال البحرية وأسواق واحات أعماق الصحراء الكبرى في الشتاء والنيجر والسودان الغربي حتى مدينة تمبكتو، ومن ميزات هذه القوافل أنها تتاجر بالبضائع المحلية وبضائع أوروبا المستوردة، فيستغل السكان مرورها ببلدانهم وقراهم، فيحشدون سلعهم وبضائعهم إليها

[1] يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 174 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة (تأملات وأفكار)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 172 .

ويشترون بعض بضائعها التي يرغبون فيها[1]، وكانت هذه القوافل تنقل مختلف البضائع منها مسحوق الذهب وريش النعام والتمور[2].

كانت السلطات الفرنسية تهدف إلى تطوير قطاع النقل وذلك لتسهيل تبادل السلع بين الشمال والجنوب، ومنطقة الزيبان هي الأخرى استفادت من مشاريع شق الطرقات حيث تم إنجاز شبكة من الطرق التي تربط منطقة الزيبان بالمناطق المجاورة لها ومن أهم هذه المسالك نذكر :

طريق الجزائر – بوسعادة – بسكرة : الذي انتهت أشغاله عام 1905 وينتمي لشق الطرق التي تربط بين الجزائر والمدن الجنوبية.

طريق سطورة – قسنطينة – بسكرة : حيث أيدت السلطات الفرنسية اهتمام كبير لإنجازه وذلك لأهميته التجارية الكبيرة[3].

أما بالنسبة لخطوط السكة الحديدية، فقد كان هذا المشروع من أولويات السياسة الفرنسية في الصحراء التجارية، كونه يفتح لها آفاق جديدة ويسمح لها بمد سيطرتها التوغل أكثر نحو الداخل، منها خط بسكرة– قسنطينة– باتنة، الذي تم إنجازه سنة 1884 م، وخط بسكرة– تقرت الذي تم تشغيله بشكل رسمي سنة 1916[4].

[1] يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص 174.

[2] عز الدين بومزو، المرجع السابق، ص 73.

[3]Maurice Antoine Bernard, les chemins de fer Algériens, éditeur, Adolphe Jourde, place du gouvernent, 1913, p 16.

[4]M.CH.Lutaud, Année 1914, p-p 167-168.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

أولا: التركيبة الاجتماعية في منطقة الزيبان.

ثانيا: العادات والتقاليد في منطقة الزيبان.

تمهيـــد:

لعلّ الحياة الاجتماعية هي الجانب الذي لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض خاصة إذا علمنا أن الكتابات حول هذا الجانب معظمها أجنبي وحتى إن كانت كتابات جزائرية فهي اهتمت بمجتمع مدينة الجزائر دون غيره، لذا سيعالج هذا الفصل الحياة الاجتماعية في منطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية المحددة من سنة 1844الى1945م، فتم فيه دراسة ومعاينة طبيعة المجتمع الزيباني والتعريف بكيفية تكوينه وعاداته ونشاطاته اليومية وإعطاء وصف يلمس مختلف جوانب يوميات الفرد الزيباني وذلك بإبراز نمط عيشه من خلال عاداته وتقاليده وحتى القيم الأخلاقية التي يرتكز عليها والتي تميزه عن غيره من المجتمعات.

أولا: التركيبة الاجتماعية في منطقة الزيبان

1-الفئات الاجتماعية:

كان مجتمع الزيبان يتشكّل من مجموعة من السكان المختلفة حياتهم، فهناك من كان من البدو الرّحل، وهناك من كان من السّكان الحَضريّين المستقرّين، وكانت هذه التجمعات في كل من الزاب الشمالي والزاب الجنوبي والزاب الغربي وكذلك الزاب الشرقي، كما كان سكان هذه المنطقة حسب ما ذكره الرحالة دوماس Dumas حضريين ولا يرجع أصلهم إلى الجنس العربي وهذا من خلال أخلاقهم وفي عاداتهم السياسية والدينية والفلاحية[1].

بعد الدخول الفرنسي إلى الزيبان تزايد عدد سكان المنطقة، وصاروا أكثر اختلاطا واستقرت بالمنطقة بعض الأجناس الأوروبية وبدأ التدفق البشري تدريجيا على المنطقة كالسياح وبعض الرحالة والمستكشفين الذين أتوا للتمتع بالعيش بهذه المنطقة التي تتميز بمناخ دافئ في فصل الشتاء، وهكذا أضحت المنطقة تحتوي مختلف الشعوب نجد بها الإنجليز، السويديين، الهولنديين[2]، الألمان والأمريكيين، وسكنت هذه الفئات في المدينة الجديدة وكان أغلبهم من الفرنسيين[3]، أما بقيّة السّكان فسكنوا في ضواحي المدينة ومنهم

1Eugene Dumas, Sahara Algérien, paris, 1845, p104.

2L'Abbé Jean Hurabielle(ancien secrétaire du cardinal Lavigerie),Au pays du bleu. Biskra et les oasis environnantes. Paris, Augustin Challamel, Eduteur, 1899, p6.

3 محمد بوشنافي، "بسكرة في نهاية القرن التاسع عشر من خلال رحلة الفرنسي L'Abbé Jean Hurabielle"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 2، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

الميزابيون[1]، ويوجد أيضا البربر بحيث يعيشون في الدّواوير المحيطة ببسكرة تحت خيامهم وهم شعوب قديمة سكنت المغرب وكانوا يمتهنون حرفة الزراعة والصّيد والفلاحة[2]، إضافة الى العنصر اليهودي لكن كانوا بنسبة قليلة في المنطقة عكس المناطق الشمالية بحيث وصل عددهم في الجزائر حوالي خمسين ألف يهودي في بعض الفترات وهذا راجع للامتيازات التي منحتها فرنسا لهم عند دخولهم للجزائر[3] وهناك إحصائيات[4] تقول أنّ اليهود سنة 1866 بلغ عددهم تسعة وخمسون يهودي في مدينة بسكرة لوحدها[5].

هناك فئة أخرى سكنت المنطقة متمثّلة في الزنوج، فكتب الرحالة هنري دوفريه أثناء تواجده بالمنطقة (بسكرة) عن أهم القبائل الإفريقية المتواجدة فيها خلال تلك الفترة، والتي سماها القبائل الزنجية المتمثلة في المستعمرة الصغيرة[6]، ويشكل هؤلاء الزنوج كما يذكر دوفريه حيّا صغيرا من الزرائب المشيدة من جريد النخيل يقع على حافة البساتين بالقرب من مدينة بسكرة الجديدة "الأوربية".

1L'Abbé Jean Hurabielle, op, cit, p16.
2Ibid , p p165-175.
[3]L'Abbé Jean Hurabielle, op, cit, p180.

[4]حسب الإحصائيات المقدمة من طرف إدارة المكاتب العربية في المناطق التي سيطرت عليها فرنسا وهي بعد سنة 1851م أما قبل هذه السنة فهي نسب غير دقيقة لأنه من الصعب تتبع حركة نمو اليهود قبل 1851. **أنظر:** معوشي آمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي(1830–1870)، دار الإنشاء للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ن.س)، ص 165.

[5] المرجع نفسه، ص 165.

[6] **القبائل الزنجية:** البورنو، الحاوسة، الباغيرمي، الفتالا، المبوم، المندارا، الكوينا، الكنمبو، التيدا، التيمبوكتو، الامبانا، الوداي، المنغا، الدورا، الكتسينا، البمبارا، اللوغوني، الدرجي، الأفادي، الإنغالا، الكوري، المغاري، المرجي، الكيركير، النغوزوم، الهداموا وهي حوالي 26 وهناك قبائل أخرى لم يتم ذكرها. **أنظر:** عبد القادر عزام عوادي، "بسكرة من خلال مذكرات الرحالة الفرنسي هنري دوفريه"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م، ص173.

أما بالنسبة لتعداد السكان فقد ذكرت الإحصائيات الفرنسية سنة 1884م أن سكان الزيبان (دون احتساب عدد سكان بلدية بسكرة الأوروبية) قد بلغ عددهم حوالي39247 مسلم و36 أوروبيا، بعد أن أشارت إلى مركز تجمعهم، فتجسد في دواوير منها القنطرة التي ضمت 2226 ساكنا من المسلمين و29 أوروبيا، بينما دوار لوطاية ضم 313 قاطن مسلم وقاطنين أوروبيين، وفي الزيبان11660 قاطن مسلم و5 أوروبيين، أما بلدة سيدي عقبة فقد ضمت 2227 ساكن، بينما ضم دوار برج بن عزوز 246 ساكن مسلم، في حين ضّم دوار أولاد سيدي الصالح468 قاطن مسلم، بينما تجمع في الزاب الشرقي 5027 ساكن مسلم، أما تراب أولاد زيان فكان يشمل على 5515 ساكن مسلم، وفي الصحاري 3531 قاطن، في الوقت الذي كانت تشمل فيه قبيلة أولاد زكري 3960 فرد، وفي أولاد جلال كان يسكن حوالي 4114 ساكن مسلم[1].

بينما سنة 1906م عرفت منطقة الزيبان زيادة عددية في السكان بحيث بلغت حوالي 63620 ساكن مسلم، وفي سنة 1911م أي بعد خمس سنوات من ذلك وقبل الحرب العالمية الأولى بلغ عددهم حوالي 75236ساكن مسلم، لكن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وبالضبط سنة 1921م بلغ عددهم حوالي 85542 ساكن مسلم، أي أنه خلال طوال عشر سنوات زاد عددهم 10306 قاطن مسلم[2].

[1] Gouvernement Général de l'Algérie, tabheau Général au 30 septembre 1884 des communes de plein exercice mixtes et des trois départemments de l'Algérie, Fantana, Alger, 1884, p 82 .
[2] Gouvernement Général de l'Algérie, les territoires du sud de l'Algérie, Alger, première partie, 1922, p 212.

بعد خمس سنوات من ذلك أي سنة 1926م ارتفع عددهم إلى حوالي90989ساكن، وفي سنة 1931م وصل عددهم حسب تقديرات الفرنسيين حوالي95142 ساكن، وفي سنة 1936م وصل عددهم الى102501 ساكن، أي خلال عشر سنوات من سنة 1926م إلى سنة 1936م ازدادت النسبة إلى 12%.

أما الدوق دومال صنف في تقريره بعد احتلال منطقة الزيبان سنة 1844م سكان المنطقة إلى صنفين وهما الحضر والقبائل الرحّل، حيث بعد 94 سنة من الاحتلال أي سنة 1938م قامت دراسة فرنسية بمسح عام بشأن الإسكان في منطقة الزيبان فأحصت العدد الإجمالي للعرب الذين يقطنون الخيمة أو كما يسمونها بيت الشّعر حوالي35600 ساكن موزعون كما يلي: الزيبان 21500 ساكن، أولاد سيدي الصالح 600 ساكن، الزاب الشرقي 13500 ساكن[1].

ويلاحظ أنه في عام 1954م كان يسكن مدينة بسكرة ألفين صوفي 2000، ألف شاويّ1000، ستمائة زنجي 600، مئتان 200 ميزابي، مقابل خمسمائة وخمسة يهودي، وأربعمائة وستّون مسيحي460[2].

2-النظام الاجتماعي:

وهي الطريقة التي تحدد العلاقات بين الناس الذين يعيشون في مجتمع مختلف بغض النظر عن اجتماعهم أو تفرقهم حيث كانت علاقاتهم مختلفة ومتعددة، وتضم شتى

[1] لخميسي فريح، المرجع السابق، ص113- 114.

[2]Abdelhamid Zerdoum,op-cit, p23.

المجالات، والنظام السائد في منطقة الصحراء الجزائرية هو نظام الجماعات والمشايخ والقبائل العربية والبربرية، حيث نجد أن الحكومة الفرنسية أزعجها هذا النظام بسبب تماسك المجتمع والتفافه حول شيخ يحكمه.

لقد كان المجتمع بمنطقة الزيبان مجتمع منظما يخضع لسلطة الحكماء والعقلاء من الأمة وكانت الجماعة هي التي تتولى تسير شؤون الناس وفقا لأسس ومبادئ وقيم مغروسة في الدين الإسلامي، بحيث كان لكل فرد مسؤولياته التي لا يفرط بها ولا يتجاوزها، والجماعة انقسمت إلى تنظيمين:

الأول: الجماعة فيه عبارة عن مجموعة من الحكماء والعقلاء تتولى تسيير وعلاج النزاعات التي قد تحدث بين الأفراد والجماعات (تتعلق بحدود الممتلكات أو مشاكل الإرث بالإضافة إلى المشاكل الاجتماعية زواج، طلاق الخصومات ...)، وهذا التنظيم كان شبه رسمي لان القايد هو من كان يعين أعضاءه وينهي مهامهم[1].

الثاني: الجماعة فيه عبارة عن مجموعة عبارة عن مجلس يتكون من كبار حكماء المنطقة الكبار في السن وذوي الذكاء والخبرة في الحياة، وهذا التنظيم مستقل لا يخضع لأي سلطة رسمية، فهو يمثل السلطة الحقيقية التي تسير وتنظم شؤون السكان، ويتصف أعضاء هذا التنظيم بالعقل الراجح والحكمة والهدوء فعليه أن يكون على علم بأخبار أهالي المنطقة فهم أهل الحل والعقد، يعتبر هذا المجلس نادي يحظى أعضاءه بالقدر والاحترام فتثار فيه

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص241.

القضايا الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والتي تهم حياة السكان في جميع جوانبها بالإضافة الى القضايا العالقة وتقترح الجماعة حلولا مناسبة بحيث يخضع المتخاصمون للقرارات التي تتخذها هذه الجماعة مهما كانت القضية المطروحة ومهما كان القرار، ومازال هذا النوع من التنظيم إلى يومنا هذا يتخذ به لحل القضايا في بعض نواحي منطقة الزيبان، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المجلس ليس له مكان مخصص يجتمع فيه قد يكون تحت ظل شجرة أو داخل منزل احد المشايخ او في الساحات العامة ...[1].

وهكذا تمكن التنظيم الاجتماعي "الجماعة" من تخليص السكان وتجنيبهم اللجوء إلى سلطات الاحتلال الفرنسي وقوانينه الوضعية التي ظل السكان يرفضها طوال الوقت، وبهذا تمت المحافظة على التراث القضائي الخاص بالمنطقة.

3-المرأة والرجل والدور الاجتماعي لكل واحد منهما:

3-1- المرأة:

وصفت المرأة الجزائرية عامة والزيبانية خاصة بأنها مطيعة للرجل وهي مسخرة لخدمة البيت وتربية الأولاد فقط وهذا حسب ما رآه بعض الرحالة[2]، أما البعض الآخر أمثال الرحالة فليكس هوتفورت(Félix Hautfort) فتحدث عن حالتها الاجتماعية في مدينة بسكرة فقال: المرأة مهمشة كأنها غير موجودة، لم يكن باستطاعة أي كان أن يراها إلا أهلها وأقاربها وفي

[1]مقابلة شخصية، علي أفرن ، المرجع السابق.

[2] الصالح بن سالم، "بسكرة وواحاتها بعيون فرنسية –ألمانية خلال القرن 19 م دراسة ماسكوري ومالتسان أنموذجا"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية، 2018م، ص219.

حالة نادرة الطبيب عند الضرورة القصوى كانت تقضي وقتها في البيت وخروجها نادر، المرأة عند بلوغها سن الزواج إذ أن مهمتها تنحصر على تربية الأولاد عكس المرأة الأوربية وإذا خرجت فهي تخرج لجلب الماء أو غسل الثياب وهذا ما يحدث تحت رقابة الزوج أو أقاربه[1]، لكن هنا الرحالة يبدو أنه لم يحاول أن يتعمق ويبحث بخصوص الموضوع فقد أعطى وأطلق حكم خاطئ وعدم خروج المرأة خلال تلك الفترة ومشاركتها في الحياة العامة راجع الى تقاليد المجتمع والى دين الإسلام والحرمة والشرف، فالرجل الجزائري والزيباني بالخصوص معروف بغيرته على زوجته أو أخته فيعتبرها مسألة عرض وشرف[2] وما يدعم هذا الرأي أن أحد الرحالة الانجليز وهو ليس من الحقودين على الإسلام والمسلمين والعرب "الرحالة ليدر" يتحدث أثناء رحلته الى مدينة بسكرة عن المرأة ويقول أنه طوال وجوده بالمدينة لم يشاهد امرأة في الشارع ماعدا راقصات جئن من خارجها رغبة في الحصول على المال، لكن زوجته تحدثت وتحاورت مع إحدى الفتيات وسألتها عن هذا الأمر تجيب الفتاة بأن هذه هي عاداتهم وتقاليدهم ثم أجابت أيضا أن زوجها يبقيها داخل البيت هذا دليل على غيرته وحبه واهتمامه بها[3].

أما فيما يخص الأعمال التي كانت تقوم بها النساء فهي أعمال منزلية مختلفة فبعضهن ينسجن الصوف والبعض الآخر يجففن الحناء وأخريات يفتلن الكسكس(أنظر للملحق رقم 05) والبعض يقمن بالحياكة ومنهن من يصنعن الفخار في بعض المناطق والذي تتفنن في

[1]Félix Hautfort, Au pays des palmes Biskra, 1897, p62.
[2]S.H, Leeder London, The desert gate. Biskra and therabouts, London, 1910, p ,p 72, 93.
[3]S.H, Leeder, op-cit, p 93.

صناعته بأشكال وألوان متعددة سواء للاستعمال أو البيع[1] فيتحدث هنا الرحالة سامسون Simson أنه رأى نساء بلدة القنطرة يصنعن الحايك والبرنوس، فقد كانت صناعة النسيج شائعة خلال هذه الفترة[2].

وعندما يكون الحديث عن المرأة تجدر الإشارة أيضا الى أنها كانت لا تنادى باسمها الحقيقي بل يطلق عليها اسم "المرأة" وتنادى بهذا الشكل "ها لمرأة – يا امرأة – وا لمرأة ".

3-2-الرجل:

الرجال حسب كتابات الرحالة هم لا يبذلون أي جهد حيث يجلسون أمام دكاكينهم الموزعة على الأزقة الضيّقة وكل ما يقومون به جني المحاصيل وحصد الحبوب في أوقاتها، ودون ذلك تراهم ملفوفين في برانيسهم ومستلقون على الرمال يشاهدون مرور "الرومي" أمامهم دون أن يعيروه أي اهتمام وقد يلعبون بعض الألعاب أو يتجاذبون أطراف الحديث في مواضيع مملة، ولكنه يشير إلى تديّنهم الشديد، فهم لا يتأخرون أبدا عن أداء الصلاة في أوقاتها[3].

أما فيما يخص كبار السن فتراهم يفضّلون أماكن معينة يجتمعون فيها، فقد يُقسّمون الماء بين أصحاب البساتين، وقد يعالجون القضايا المستعصية لأنهم من أهل التجربة في الحياة، أما الأشراف والأعيان منهم فقد تراهم يتحدثون عن ماضي أجدادهم المجيد[4].

---

[1] L'Abbé Jean Hurabielle, op, cit, pp49-50.

[2] عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دط، دار ابن زيد للطباعة والنشر (بسكرة–الجزائر)، (د، س، ن)، ص85.

[3] عبد القادر بومعزة، المرجع السابق، ص71.

[4] L'Abbe Jean Hurabielle, op, cit, p51.

وهناك منهم من هو منكبٌّ وبيده سبحة يتمتم بتسبيح خاص ونظراتهم توحي بأشياء وأشياء[1].

يقول الرحالة فون مالتسان الألماني أن السكان كانوا كسالى ولا عمل لهم وشاهدهم يقضون جلّ وقتهم في المقاهي، لكن هو لم يستفسر عن عملهم طوال السنة، فهو زار بسكرة في شهر جانفي 1862 وهذه الفترة تأتي بعد انتهاء فصل جني محصول التمر وتسويقه بداية شهر سبتمبر لغاية شهر ديسمبر، أي من الممكن انه قد أتى في موسم تنتهي فيه أعمال سكان المنطقة وهذا يتعلق بعدة عوامل أولها انتهاء موسم جني التمور الذي يحتل المرتبة الأولى في أعمال الفرد الزيباني[2].

4-القيم الاجتماعية:

لقد اهتمت الكثير من الدراسات والكتابات الأجنبية بمظاهر الحياة الاجتماعية للفرد الصحراوي وبالخصوص الفرد الزيباني فكتب العديد من الرحالة حول أخلاق المجتمع وسلوكياتهم وصفاتهم وغيرها من قيم المجتمع منهم من تحدث عنها بموضوعية وكان غير حقود على المجتمع الزيباني العربي المسلم، ومنهم من قد بالغ في الحديث والوصف وكان ذاتيا في الحديث حول هذا الجانب، وهذا ما يجب مراعاته أثناء نقلنا لهذه الكتابات، وفي الحديث عن هذه المظاهر نفصل فيها كمايلي:

[1]Félix Hautfort, op, cit, pp7-8.

2 محمد قويدري، "قراءة في كتاب(ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا) للرحالة هاينريش مالتسان"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م، ص214.

4-1-القيم الأخلاقية:

تحدث العديد من الرحالة حول الأخلاق الحميدة التي يتميز بها المجتمع في الزيبان ومن بينها:

- الكرم وحسن الضيافة الذي يمتاز بهما أهل الزيبان مما جعل سلوكهم هذا محل دهشة واستغراب من طرف بعض الرحالة، لأن هذه الصفة لم تكن معهودة في مجتمعهم الأوربي عكس الفرد في الزيبان حيث يعد هذا السلوك من تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي، (فالكرم صفة عربية حتى قبل الإسلام وانتقلت بانتقال العنصر العربي أثناء الفتوحات الإسلامية أولا ثم الهجرات ثانيا)، وهي من العادات البارزة في حياة سكان الصحراء عامة، حيث يتحدث الرحالة سامسون عن هذا فيقول أنه أثناء زيارته لبلدة القنطرة هو وزوجته كان الناس يرحبون بهما ويقدمون لهما الطعام فهم يرحبون بالأجنبي ويعاملونه بعطف[1].

- انعدام الاختلاط بين الرجال والنساء فلا يصادف في الشارع رجلا يتحدث مع امرأة، كما أن الفتيات لا يخرجن من البيوت عندما يبلغن سن الزواج والمتزوجات نادرا ما يخرجن ويعفى من ذلك العجائز اللاتي بلغن من الكبر عتيّا، كما أن النساء يلبسن الكثير من

[1]M .W,Hilton-Simpson,op-cit, p34.

الملابس وهذا لسترة أجسادهن حيث لا يرى شيء منهن وهذا دليل على صفة الحشمة لدى المرأة خاصة والمجتمع عامة[1].

- مجتمع محافظ فيذكر الرحالة سامسون أن رجلا كسر ذراع أخته لمجرد أنها نظرت من خلال الباب إلى رجل أجنبي[2].

- طيبي المعشر ومتواضعين ويتصفون بالكبرياء، ومن أخلاقهم أنهم لا يضحكون بلا سبب فهذا يعتبر عند أهل المنطقة جنون، أيضا من يطلق صفيرا من فمه يعد شخصا ناقص الأخلاق، وكل هذه الأخلاق نابعة من دينهم الإسلام[3].

- أيضا يقوم أهالي الزيبان بالمصافحة باليد اليمنى إذ يروي الرحالة ليدر الإنجليزي أنه وقع في حرج حين حاول مصافحة صديقه البسكري بيده اليسرى فرفض الصديق مصافحته قائلا: "عليك أن لا تمد لي اليسرى عند المصافحة"، فعرف الرحالة أن اليد اليمنى أشرف من اليسرى حسب الأخلاق التي أتى بها الدين والتقاليد العربية الإسلامية وان المصافحة دليل على الأخوة، الاحترام، الصفاء والثقة، ويشير أن الدين الإسلامي هو صاحب الفضل في زرع هذه الأخلاق في نفوس الناس وأهالي الزيبان ويتهم المستكشفين والرحالة

[1]Jean Hurabielle: op- cit, p 194-195.

[2]M .W,Hilton–Simpson, op–cit, p 34.

[3]عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص– ص 68–69.

الذين سبقوه وتحدثوا عن أخلاق أهل المنطقة بالسوء أن ما كتبوه فيه كثير من المبالغات ويقول أن هذا المجتمع وهؤلاء الأفراد لهم منهج شامل للسلوك والأخلاق الرفيعة[1].

- من صفتهم التدين فالرجل والمرأة يؤديان الصلاة حسبما أمر به الإسلام ومن أخلاقهم أن يتطيبوا يوم الجمعة، بالإضافة إلى استخدامهم السواك أو القرنفل(الطيب) ويقومون بهذا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر به فهو مستحب في الدين، وفي هذا الصدد يتحدث الرحالة ليدر في" كتابه بوابة الصحراء " عن ما شاهده عند تواجده في سوق مدينة بسكرة فيقول: "فجأة ارتفع صوت الآذان فتوقف الجميع عن الحديث حتى انتهى الآذان واتجه الناس إلى الجامع لأداء فريضة الظهر كما توقفت الحركة و الضوضاء اللتان سادتا السوق لمدة خمسين دقيقة"[2].

- الرضا بالقدر وهذا راجع لتشبثهم بالدين وفهمهم فهم قانعين بالقليل[3].

4-2 الآفات الاجتماعية:

4-2-1السّحر:

هو عمل يدعي أصحابه القدرة على القيام بأعمال تعجز عنها القدرة البشرية العادية وذلك بالاستعانة بقوى خارقة للطبيعة، أو عن طريق السيطرة على بعض القوى الخفية في الطبيعة، ولجأ بعضهم إليه للسيطرة على أفراد مجتمعاتهم ويعرفون باسم" الطالب أو العزّام

[1]S.H, Leeder London, op-cit, p - p 29-30.
[2]S.H, Leeder London, ibid, p16.
[3]عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص67.

والنساء بالشوافة "ويزعمون معرفة الغيب ويتكسّبون من النساء بكثرة"، وقد كان يؤمن الناس به كثيرا.

إنتشر السحر كثيرا أوساط سكان منطقة الزيبان خاصة عند النساء، وقد يكون لسبب أو من غير سبب، وهو يعنى أيضا بالكتابات التي توضع في الأحجبة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وغالبا ما كانو يعلقونه دون قراءته بسبب إنتشار الأمية[1]، فيستخدم هذا السحر أيضا كطريقة علاج حيث يقوم الطالب برسم حرز عليه خطوط متقاطعة وكلمات بإمكانها إبعاد الجن عن المريض[2].

4-2-2 الدعارة:

وهي من المظاهر السلبية التي انتشرت خلال القرن 19م وسط المجتمع الجزائري والصحراوي، والتي جلبت اهتمام المستكشفين فتحدث المستكشف هوداسHoudas في كتابه "أنثوغرافيا الجزائر" بقوله: "كانت الدعارة نادرة في المجتمع الجزائري قبل مجيء الفرنسيين، ولكنها الآن انتشرت عن طريق نساء المدن والبربر أما في الجنوب فالدعارة اشتهرت عند قبيلة أولاد نائل[3].

كما نجدها أيضا انتشرت بكثرة في منطقة الزيبان وقد كانت مشهورة لدى" النساء النايليات" فعند حلولهن بالمنطقة مارسن الرقص في المقاهي لتحصيل قوت يومهن

[1]M .W,Hilton-Simpson, op-cit,p 47-48.
[2]Félix Hautfort, op, cit, p17.
[3]Houdas octave, Ethnographie, elclerc, paris, 1886, p92.

بالإضافة إلى ممارسة البغاء وهذا حسب ما نقلته لنا كتابات الرحالة والمستكشفين للمنطقة في تلك الفترة [1].

4-2-3 التدخين:

يقول الرحالة ليدر أنه وجد سكان المنطقة يدخنون " الكيف"، لكنه يعطي سببا لذلك فيشرح إن هذه الظاهرة بسب حياتهم القاسية التي يعيشونها وحالة البأس لذا هم يلجئون إليه كمتعة عابرة ليستمتعوا بالأحلام و التأمل الهادئ في الوجود[2].

[1] أنساعد سميرة، الجزائرية في عيون الرحالة الغربيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي أم تصوير تخيلي، **مجلة الدراسات**، ع 02، ديسمبر 2012، ص 27.

[2] S.H, Leeder London, ibid, p21.

ثانيا: العادات والتقاليد في منطقة الزيبان

1-الاحتفالات الدينية:

للأعياد الدينية في المنطقة طابع تقليدي مميز ونكهة خاصة، فهي مناسبات تجمع شمل أفراد الأسر الذين يتفرقون في سائر الأيام فيتبادلون التّحايا بالمناسبات، حيث تعد في هذه الاحتفالات مختلف الأطباق التقليدية وتدوم أياما وليالي، تحييها فرق فلكلورية محلية وفرق موسيقية ونغمات تقليدية[1]، نذكر أمثلة عن أشهر هذه الاحتفالات الدينية:

1-1 شهر رمضان واحتفالات 26من رمضان:

يصف الرحالة ليدر الذي صادفت رحلته شهر رمضان(شهر نوفمبر 1909 م) حيث أثار انتباهه صيام شهر رمضان المعظم الذي يمتنع فيه المسلمون عن الأكل والشرب طوال النهار، فيصف نهارهم بأنه خالي من الحركة أما الليل فتعم المقاهي بالناس والضوضاء بالأماكن[2].

وهناك تظاهرة تقام يوم السادس والعشرين من رمضان في بعض بلدات المنطقة وأشهرها بلدة سيدي خالد، تحمل صبغة دينية واقتصادية وثقافية، لكن أولها بدأت دينية حيث ارتبطت بشعيرتين من شعائر الدين الإسلامي الصوم والحج، فكما نعلم أن بلدة سيدي خالد تقع في طريق الحجاج الغرب ونقصد بهم القادمين من المملكة المغربية والسنيغال وغامبيا وغيرهم وزاويتها كانت تستقبل هؤلاء الحجاج وتهتم بهم.

[1] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص38.

[2] عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص71.

تتزامن هذه الظاهرة مع ليلة القدر" ليلة السابع والعشرين من رمضان" التي يقال أنه أنزل فيها القرآن، فصارت الاحتفالات بهذه المناسبة تخصص لاستقبال الحجيج وتقرن مع الاحتفال بليلة القدر، لهذا يبدأ الحفل يوم السادس والعشرين من شهر رمضان وينتهي بليلة السابع والعشرين من نفس الشهر الى غاية انطلاق الوفود نحو مكة المكرمة.

فبعد منتصف النهار يتوجه الزوار في حشد لمسجد خالد بن سنان لأداء صلاة الظهر جماعة ويدعوا الإمام للحجاج أن يسهل الله مناسكهم ويحفظهم في سفرهم، وبعد الصلاة تبدأ مراسم الاستعداد للسفر[1].

1-2 عيد الفطر:

يحتفل السكان بهذا اليوم في أول يوم من شهر شوال الذي يلي رمضان شهر الصيام، ويمثل هذا حدثا احتفاليا دينا اجتماعيا يؤدي فيه السكان صلاة العيد في تجمعات في المساجد والساحات العامة، ويلبسون ثيابا بيضاء وتكون جديدة ونظيفة ويتجهون للمصلى ومعهم أطفالهم، فيبدؤون صلاتهم بالتكبير" الله اكبر، الله اكبر، لا اله إلا الله" ويرددونها عدة مرات مع السجود، وعندما تنتهي الصلاة يتبادل السكان التهاني والزيارات، فيزورون الأهل والأموات والأقارب والأصدقاء، وفي هذا اليوم يكثرون التسبيح والاستغفار.

يمثل العيد فرصة للتصالح بين المتخاصمين ويعتبر يوما للصدقة فيصدق الطعام أو الأموال للفقراء وتقدم فيه الهدايا كذلك، وتسود الابتسامات على الوجوه في هذا اليوم

[1]محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص- ص622-624.

والأطفال يخرجون إلى الأزقة والحارات في أحلى الملابس ويزورون البيوت ليجمعوا العيدية، أما الرجال يتوجهون للمقاهي ويشربون القهوة مع الأصدقاء والأحباب، أما النساء فهن أيضا تتزين بأحلى ما عندهن من لباس ومجوهرات ويستقبلن صديقاتهن من النساء ويقدمن الهدايا لبعضهن البعض وبعد الظهر يزرن جميعا المقبرة مع أطفالهن[1].

1-3عيد النحر(العيد الكبير أو عيد الأضحى):

يصادف يوم عشرة ذي الحجة وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بشعيرة الحج ويقوم فيه السكان بنفس الطقوس التي يقومون بها في عيد الفطر من صلاة وتسبيح وتبادل للزيارات، مع لبس أجمل الملابس[2]، لكن هذا العيد هو إحياء لذكرى أو اقتداء بسنة النبي إبراهيم عليه السلام الذي كاد يضحي بابنه إسماعيل إستجابة لربه فتم استبداله بأضحية من غنم بعد أن علم الله بصدق نيته، لذلك يقوم سكان المنطقة بذبح أضاحي في هذا اليوم لمن استطاع وتوزيع بعض من لحم الأضحية على الفقراء والمساكين ويتم رش عتبة الباب بالدم، أما على السطح فتعلق جرة تحتوي على آخر ما أكله الخروف قبل ذبحه وتدعى "بشعير النبي"[3]، وفي هذا العيد يقوم الصبيان الذين بلغ عمرهم 18 سنة بذبح الأضحية وهذا كدليل على بلوغهم وأنهم أصبحوا رجالا[4].

---

[1]S.H, Leeder,op-cit,p - p50-59.

[2] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

[3] **شعير النبي:** يوضح لنا السيد علي أفرن أن هذه العادة ليست عند كل أهالي المنطقة فهم بمنطقة جبل أحمر خدو لا يرشون الدم على عتبة الباب ولا يضعون فوق السطح ما يدعى بشعير النبي، أن هذه العادة غريبة عليهم ولم يرى مثلها أبدا، مقابلة شخصية، مع علي أفرن، المرجع السابق.

[4]S.H, Leeder , op-cit, p -p 64-65.

1-4 يوم عاشوراء:

هو يوم له مكانة دينية تقوم فيه النساء والرجال على السواء بتكحيل عيونهم بمادة تدعى "الكحل"[1] وهي مصنوعة بالبيت بعناية، وذلك باعتبارها سنة نبوية شريفة بالإضافة الى قص القليل من الشعر في هذا اليوم، يقومون بإعداد وليمة من الطعام فيطبخون أكلة "الشخشوخة باللحم" وما تبقي من عظام يجمعونها ويلقونها في النار ويهربون بعد إلقائها ومن تخلف في الوراء سيقع في قبضة "بوهرنوس" وهي شخصية خيالية لديهم، كما تقوم النساء بزيارة الأرحام ومن أشهر ما يرد في هذا اليوم:

عاشوراء عاشورتي، كبريلي قطوشتي، سيدها بن سيدها، سيدها عبد الرحمان يحزمها ويلزمها ويضربها بلزاموا، وهذا قصد تطويل شعورهم التي قصوها في هذا اليوم.

1-5 حلقات القرآن وحفظ الحزب:

تكون في المساجد تقريبا فيجلس الحاضرين في حلقة على الأرض ويستمعون إلى كلام الله فهم في الغالب لا يعرفون القراءة التي تمكنهم من التلاوة بأنفسهم[2].

1-6المولد النبوي الشريف:

يبدأ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منذ حلول شهر ربيع الأول، فتبدأ مظاهر الاحتفال تتجلى في المساجد حيث تتزين مداخلها بجريد النخل الأخضر، وتفرش أجنحتها بأفخر

[1] **الكحل:** هي مادة مصنوعة من حجر أسود خاص بالكحل بحيث كان أهل المنطقة يجلبونه ويلفونه بالعجين ثم يطبخونه على النار الى أن يصبح شديد الصلابة، بعدها يقومون بطحنه تستمر عملية الطحن سبعة أيام بحيث يصبح مسحوقا شديد الرطوبة ويأخذ اللون الأسود ، يستعمل كأداة للتجميل والزينة فهو بمثابة" مساحيق التجميل" حاليا.

[2] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

الأفرشة لاستقبال حلقات الذكر والمديح، وبعد صلاة العشاء تنطلق في كل مساجد منطقة الزيبان الحلقات، حيث يجتمع الناس حول إمام المسجد الذي بدوره يقوم بإلقاء روائع الخطب والقصائد بمدح خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، من بينها روائع الشيخ البوصيري رحمه الله:"صلي يارب ثم سلّم على من هو للخلق رحمة وشفاء".

أما ليلة الثانية عشر أي ليلة المولد النبوي، يقوم سكان منطقة الزيبان بتناول الطّمينة المخصصة لهذه المناسبة على فطور الصباح مع كأس حليب أو لبن، وتروى قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على أهل البيت[1].

وفي الليل يقام حفل ليستمر إلى ساعة متأخرة، يمضيه رواد المساجد"المداحين" مستمعين للدعاء والذكر، ويختم الإمام الحفل بالدعاء لجميع الحضور، أما في المنازل فتقوم العائلة حسب مقدورها بإعداد وليمة ولا يغيب الكسكس أو الثّريد من هكذا مناسبة، كما تقوم النساء بالتزين بالحناء في أيدهن وأرجلهن بالإضافة إلى الكحل والسواك تحت أنوار الشموع، وفي هذا اليوم يتم زيارة الموتى وأضرحة الأولياء الصالحين[2]

ويتم في هذه المناسبة ترديد العديد من الهتافات إلى جانب الصلاة على النبي مثل قولهم:

الليلة زاد النبي أفرح يا قلبي لالة يمينة خدّك إنوّر.

[1] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص68.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص- ص 662-663.

ويبخرون الغرف ويطفئون الأنوار، ويضعون في كل غرفة شمعة تضيء ويكثرون من الدعاء وقراء البرزنجي ويرفعون الأذان[1].

ومن ترديدات البنات في المولد النبوي:

يمة يمة كحليلي بالمورد باش نشوف النبي محمد يمينة جاباتو وحليمة رباتو[2].

2-الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية:

2-1الزواج:

تختلف عادات الزواج إلى حد ما بين مختلف القبائل، ويتم تعديلها وفقا لثروة العائلات لكن الملامح الرئيسية تبقى نفسها، حيث يتكفل الوالدين باختيار الفتاة المناسبة لتزويج ابنهم بعد بلوغه سن الثامنة عشر، شرط أن تكون الزوجة من عائلة الأب أو الأم قصد الحفاظ على السلالة، ومن الممكن أن يخطب الزوجان عند ولادتهما[3].

حيث يقرر والد الزوج عندما يرى ابنه في العمر المناسب، ويبعث بزوجته إلى عائلة الفتاة بعد سؤاله عن سمعتهم، فتخضع الفتاة لفحص من طرف حماتها ما إذا كان مظهرها مرضيا وصحتها وشخصيتها(الطاعة، الأعمال المنزلية...)، من ثم يستدعي الأب جيرانه ويختار خروف سمين من قطيعه، بعد ذلك يذهب في موكب إلى بيت العروس أين يتم استقبالهم، من ثم يطلب والد العريس الفتاة ويتفقا على شروط الزواج والمهر الذي يتراوح من

[1] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 77.

[2] حياة بزيو، المرأة والشعر في سيدي خالد، دار أجنحة للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)، 2017، ص 48.

[3] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص40.

مائتان إلى ألفين فرنك، بالإضافة إلى ذلك يقدم هدايا لجدة وأم وأخوات العروس وبعد الاتفاق يتم إعداد الأكل وشواء الخروف، ثم يقوم رجل يكون شيخ القبيلة أو العرش(كبير العرش) بإعلان إتحاد الخطيبين وقراءة الفاتحة وكان ذلك بمثابة وثيقة قانونية للزواج[1].

بعد أن تتفق العائلتان وتتم الخطوبة يتحدد يوم الزفاف حيث يتم تجهيز العروس بداية بالحمّام، ويتم دهن شعرها بالحناء وتستخدم الكحل وتتزين بالجواهر وترتدي الملحفة، وقد كانت مدة العرس سبعة أيام، حيث تجتمع النساء في المحفل(مكان إقامة العرس)[2]، ويقمن بعمل الحناء للعروس من طرف جدة أو أم العريس مع الغناء ومن أشهر الأغاني في ليلة الحناء والتي تعبر عن الفرح بالمناسبة والحزن عن فراق البنت لأهلها:

الحنة الحنينة جابوها يا محنها وش يخرج لالة البنات من دار أمها

الحنة الحنينة جابوها جابوها وش يخرج لالة البنات من دار بوها

الحنة الحنينة جابوها العرب تحني بيك البنية بخواتم الذهب[3] .

في اليوم الموالي يقمن النساء بإخراج العروس ويأتي الرجال ويطلقون البارود عليها[4] وترتفع أصوات النساء في الشوارع بالزغاريد وتأتي راقصات أولاد نايل ويقمن بالرقص وهو ما يميز الأفراح[5].

---

[1]S.H.Leeder, Op-cit, p p 202-204.

[2]محمد الصالح لونيسي، الأوراس تاريخ وثقافة، دار الطباعة العصرية، (برج الكيفان– الجزائر)،2007، ص111.

[3]حياة بزيو، المرجع السابق، ص 50.

[4]محمد صالح لونيسي، المرجع السابق، ص111.

[5]Félix Hanlfort, Op-cit, p75.

كان الفرسان يظهرون بطولاتهم وأناقتهم بهدف الحصول على حبيبة ربما تكون زوجة المستقبل، ويبدأ موكب العروس[1] فتحمل العروس على ظهر "بغل"(أنظر للملحق رقم 06) أو في "الركابية"[2] (أنظر للملحق رقم 07)عند العائلات الميسورة ويضرب عليها الطبل والمزمار ويسير هذا الموكب مع حمل النساء للشموع[3].

كذلك لا يتوقف الضرب على الدف الذي تصاحبه الأصوات الشجية وممن اشتهر في هذا المجال الشاعرة عيشوش عنقر[4] المعروفة "بنت أحميداتو"، وهي مغنية الأعراس الأولى في سيدي خالد[5]، وعندما يتوقف الموكب تأتي فرقة الزرنة والطبل، وتبدأ بالعزف من ثم يخرج فارس من وراء الرجال قاصدا الفرقة ويمنح نقودا للبراح الذي يعلن اسمه بقوله:"هذه هدية من عند فلان ، الفارس الذي خرج ..."، ويطلق ذلك الفارس طلقتين وتجيبه النساء بالزغاريد[6]، وأثناء نقل العروس إلى بيت زوجها تكون أغلب أغانيه مدائح بذكر النبي وأذكار مثل :

قدمت ربي والصلاة على النبي وعايشة وفطوم والسيد علي

أمقام الله ما يخيب عليه شيء[7].

---

[1] محمد الصالح لونيسي، المرجع السابق، ص112.

[2] وهي قفص كبير يحمل سبع بنات، توضع فوق بغل يقوده صفان من الرجال وخلفهم النساء.

[3] أحمد خمار، المرجع السابق، ص74.

[4] عيشوش عنقر شاعرة ومغنية من مواليد (1910)

[5] حياة بزيو، المرجع السابق، ص 49.

[6] محمد الصالح ونيسي، المرجع السابق، ص 112.

[7] حياة بزيو، المرجع السابق، ص50.

يتم استقبال العروس من طرف حماتها حيث تقدم لها وعاء من الزبدة مع البيض والتي تغرقها في يدها وتلطخها على حائط الباب أو عمد الخيمة، وهناك عادات أن تمشي العروس على بيضة فتكسرها، وهناك عدة ليالي في العرس منها ليلة الحنة وليلة الدفوع ثم ليلة الطلوع وليلة الحزام وليلة الكبة[1].

وليلة الطلوع هي ليلة الدخول بالتعبير الحالي، أين يتم ضرب البارود وتتعالى أصوات النساء بالزغاريد بعد التأكد من عذرية العروس[2]، وبعدها تأتي ليلة الحزام وسميت كذلك لأن العروس تتحزم في تلك الليلة، من ثم ليلة الكبة التي سميت هكذا لأن العريس والعروس يكبان على عائلتيهما ويستلمان بعض الهدايا.

صورة توضح عملية الختان لطفل من طرف الطهار

المصدر: Rivére thérèse, op-cit,p106.

2-2-الختان:

يلبسون فيها للصبي لباس أصفر من الحرير ويجعلون الراية في سطح البيت، أي إشارة على أن في هذا المنزل يوجد حفل ختان، ويلبسونه أيضا منديلا وبُلغة صغيرة، ويحضرون قصعة من الرمل ليضعوا فيها الدم والجزء المقطوع في عملية الختان ثم يقومون بدفنه وهناك من يعلق ذلك الجزء على

[1]أحمد خمار، المرجع السابق، ص74.

[2]Félix Haulfort, Op-cit, p 79.

النخيل[1].

وعرس الختان يوم واحد وتكون الوليمة في منتصف النهار، وكانت هناك أغنية خاصة بهذا اليوم وهي:

طهر يا المطهر صحّ الله يديك

لا تجرح وليدي لا نغضب عليك

طهر طهر يا المطهر كتابو مشهر وصحابو بين يديه

صلوا صلوا على محمد ويريح من صلى عليه[2].

تبدأ العائلة في تحضير ما يغطي واجبات الضيافة من مصاريف وخاصة ما يتعلق بفتل الكسكس الذي يشكل الطعام الأساسي في هذه المناسبات، ويختار الوالد الطّهار المناسب ليكون في الموعد يوم الحدث السعيد، والطّهار عادة يكون رجل عاديا خبيرا في فن هذه العملية الجراحية، ويقوم بالعملية دون تخذير مما يسبب ألاما للطفل الذي تسيل منه الدماء، وكان يقوم بمعالجة الجرح بأدواته التقليدية البسيطة، التي لا تخرج عن مسحوق الشبّ أو غيره من المسحوقات التي تستعمل فيها الرماد.

لا يوجد للختان موعد معين، إلا أن مناسبة السابع والعشرين من رمضان موعد مناسب للقيام بعملية الختان الجماعي، وكثيرا ما يضيف صاحب الأسرة بعض الأطفال الفقراء لعرسه ليجنب أهلهم تكاليف حفلة الختان[1].

[1] أحمد خمار، المرجع السابق، ص- ص 74-75.

[2] حياة بزيو، المرجع< السابق، ص 51.

إن الختان سنة إسلامية مؤكدة ومترسخة في عادات وتقاليد منطقة الزيبان، حيث يمثل بالنسبة للطفل وأسرته حدث هام، إذ يعد انتقالا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الفتوة والشباب.

2-3-احتفال رأس العام(ينّاير):

تنحصر المظاهر المشتركة المتعلقة بالاحتفال برأس العام أو ينّاير في تنظيف البيت وإكرام رب البيت، واستبدال الأثافي (الكانون) أملا بعام أكثر رخاء وعافية، حيث يرمز تبديل الكانون إلى استبدال السنة المنتهية بمصاعبها ومشاقها بسنة أخرى[2].

ويبدأ الاحتفال ليلة الثالث عشر من شهر جانفي، أما الأطفال فيطوفون بكل أبواب القرية وهم يرددون أهازيج أملا في الحصول على أطعمة وحلويات، وكانت الكلمات المشهورة التي يرددها الأطفال:

هذا عام بو لعوام يا ربي هنّي الإسلام هذي دار عمّنا تعطينا وتلمنا.

وهذي دار خالتنا تعطينا وتسالنا وهذي دار سيدنا تعطينا وتزيدنا[3]

وفي هذه الليلة هناك عائلات تقوم بتحضير الشرشم وقوامه حبوب القمح الذي يخلط معه كميات من أنواع الحبوب خاصة الفول والحمص، وكانت هذه من عادات سكان جبال أحمر

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص- ص867 -698.
[2] مقابلة شخصية، مع علي افرن، المرجع السابق.
[3] حياة بزيو، المرجع السابق، ص52 .

خدو، وهناك من يقوم بطبخ الكسكس أو الشخشوخة، بالإضافة إلى عائلات أخرى تقوم بطبخ رؤوس الماعز[1]

بإضافة أغاني أخرى يغنيها سكان منطقة الزيبان تيمنا بالعام الجديد تتمثل في:

هاذي دار بلا قفل يا ربي أعطيها طفل هاذي دار بلا علاّقة يا ربي أعطيها ناقة.

هاذي دار بو بشير مليانة قمح وشعير هاذي دار خالتي تمليلي غرارتي[2].

2-4 المهرجانات

2-4-1 الفروسية:

لا يمكن أن نتحدث عن الاحتفالات والمهرجانات من دون الحديث عن الفروسية(أنظر للملحق رقم 08) ومايحيط بها من طقوس، وهي عبارة عن سباقات للخيل فهي الفنتازيا التقليدية التي لا تزال تمثل الصورة العميقة لتاريخ وثقافة المنطقة.

حيث كانت مؤسسة تربية الخيول ببسكرة تنظم دوريا سباق الخيول في واحة بني مرة، كما كان ينظم سباق المهري مؤسسة الكاردينال لافيجري سنة 1890م وكانت تقدم مبالغ كبيرة للفائزين بالسباق، ففي سنة 1891م أقيم سباق المهري الذي حاز صاحبه على قيمة مالية تقدر بألف فرنك فرنسي مقابل اجتيازه لمسافة ثلاث مائة وستة وستون كيلومتر من ورقلة إلى بسكرة في 36ساعة و20 دقيقة فقط، وكان السباق يدور في أجواء تقليدية ترافقها

[1] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 76.
[2] حياة بزيو، المرجع السابق، ص 53.

الموسيقى المحلية ويكون الخيالة فيه بلباس تقليدي أصيل[1]. كما كان يسمى سباق الخيل في هذه الفترة بعيد الربيع، حيث يعد موسما احتفاليا كبيرا ومناسبة للعديد من السباقات منها سباق الجمال، سباق الكلاب وسباق الخيل[2].

كما كانت تتم استعراضات أخرى واسعة للفرق الفلكلورية المحلية والجهوية من مناطق عديدة مثل الجلفة والأغواط وبريكة وتبسة، فهي فرصة للعديد من كبار الأثرياء لعرض أجمل ما يمتلكونه من خيول وألبسة ذات القيمة العالية، ومنهم أهالي القائد بن قانة وأولاد غلاب من مشونش والعرب الغرابة، حتى علي "باي" شارك ذات يوم في هذه المهرجانات قادما من أحمر خدو رفقة أهالي بني بوسليمان من مدينة تكوت[3].

أيضا كانت تقام في هذه المهرجانات "رحلات الصيد" فبعد حفل الفروسية في اليوم الموالي تقام رحلة للصيد فقد كانت المنطقة غنية بأنواع عديدة من الطيور البرية والحيوانات من نعام وأرانب برية وغزلان[4]، وكانت تقام هذه الرحلات برفقة الخيالة العرب المولعين بالصيد، ويستخدم نوع من كلاب الصيد المحلية المعروفة باسم السلوقيlévriers في عمليات صيد الغزلان، أما صيد النعام فيكون بمساعدة الخيالة الذين يجمعون النعام

[1]L'Abbé Jean Hurabielle, op, cit, p89, 94.

[2]Félix Hautfort, op, cit, p92.

[3] سليم كرام، "رحلة في سحر بسكرة أواخر القرن التاسع عشر ميلادي برؤية الرحالة الفرنسي Félix Hautfort قراءة في كتاب في موطن النخيل بسكرة"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية، 2018م، ص67.

[4] سليمة بودخانة، "بسكرة في عيون الفرنسيين معلما في الكتابات ومدار للرحلات"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر(بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية، 2018م، ص 116.

ويلاحقونه (يكون استغلال ريش النعام ودهنها كدواء للأمراض)، وكانت هذه الرحلات تحضر سابقا، حيث مثلت متعة خاصة لزوار المنطقة، وفي المساء يستمر الحفل بطلقات نارية لفرق بني مزاب، تتبعها سهرات ذات طابع أوروبي مع إطلاق الألعاب النارية، وهذه كلها أفراح عيد الربيع التي تدوم قرابة ثلاثة أيام[1].

2-4-2 التويزة:

تميزت الزيبان بعاداتها وتقاليدها العربية العريقة التي اتسمت بالتكافل ومن أهم هذه العادات التويزة وهي موروث ثقافي عرفت كظاهرة في كامل القطر الجزائري خاصة الريفي منه، والهدف منها هو إنجاز عمل جماعي لمصلحة فرد أو جماعة ما تطوعا مثل: عملية الحصاد، جني الزيتون، بناء مسجد، غسل الصوف وصناعة النسيج، إنشاء الأسواق وغيرها من الأعمال، فتجدهم جميعا على أهبة الاستعداد لإنجاز هذا العمل[2].

فالتويزة إلى جانب كونها مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي فهي أشبه ما تكون بالنوادي أو صالونات أدبية عفوية تخفف من صعوبة العمل، خصوصا في النشاطات الشاقة كتجهيز النسيج، ومن الترديدات اللطيفة لتحميس النساجات وخلق جو من الفكاهة:

إشطاري يا علجية أو باه نذبحلك جدية.

أو متخافيش يا جدية غير نحرض في علجية.

وإشطاري يا النساجة أو باه نذبحلك دجاجة.

[1] سليم كرام، المرجع السابق، ص67.

[2] يعقوب عبد العالي، أوماش عراقة وأصالة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)،2012، ص 19.

أو متخافيش يا دجاجة غير نحرض في النساجة.

وكانت تتردد حوارات بين النساء :

سبع عفسات يا البنات الشغل يبات عند الخايبات

فترد الأخرى: والله ما يبات عند الحرّات[1]

3-الممارسات والأنشطة اليومية:

3-1 الألبسة:

بالنسبة للنساء كانت أبرز الألبسة هي الملحفة التي تتشكل من قطعتين من القماش الأمامية والخلفية، وتربط عند منطقة أعلى الكتف عن طريق"خلة أو خلالات"وهي نوع من الحلي في أغلبه يكون من الفضة، ويضاف لها قطعتين من الأكمام تلبس تحت الملحفة مع إضافة "المحزمة" لتربط خصرها فوق الملحفة سواء كانت من الفضة أو من خيوط الصوف الملونة، بالإضافة إلى العبروق[2] الذي تضعه فوق رأسها، وأثناء الشتاء تضع اللحاف المطرز بألوان عديدة يحاك من الصوف الأبيض تحتمي به من برد الشتاء[3].

صورة توضح اللباس والحلي تقليدي للمرأة

المصدر: Yomme keeissherzig .Exposition à l'institut du Monde arabe Biskra Sortilèges d'un Oasis 27 septembre 2016 janvier 2017, p5.

[1] حياة بزيو، المرجع السابق، ص 57.

[2] وهو قطعة قماش توضع فوق الرأس مثل الخمار.

[3] مقابلة شخصية، عون زهرة، المرجع السابق.

وقد قال أبو القاسم سعد الله أن نساء منطقة الزيبان "مثقلات بالجواهر والملابس المزركشة والملونة ويعتبرون ذلك أقصى حد للزينة"[1]، حيث اتخذوا الحلي من نحاس وفضة وذهب أساور ومحازم، كما اشتهرت المرأة في الزيبان في ملبسها بما يسمى بالجبين الذي تضعه على جبينها وهو يختلف في صناعته، حيث هناك الدلالة وهي مثل الجبين لكنها تشمل كل الرأس، بالإضافة إلى السلاسل مثل سخاب الريحة[2] والنقّاب[3]، وكانت المرأة تتباهى بارتدائها أكبر عدد ممكن المجوهرات[4].

أما بالنسبة للرجال فقد قال الرحالة ألفريد أنهم كانوا متمسكين بلباسهم التقليدي المتمثل في السروال العربي والطربوش (أنظر للملحق رقم11)، بالإضافة إلى البرانس والأقمصة المصنوعة من الصوف مفتوحة دون أكمام وقصيرة تربط بحبل حول الخصر[5]، وكانوا يرتدون حزام فيه سكين مغلف بغمد جلدية عادة تكون باللون الأحمر أو الأسود، وأحيانا يحملون البنادق على أكتافهم[6].

وكان البرنوس(أنظر للملحق رقم 10) هو اللباس الأكثر تداولا بين رجال المنطقة وله عدة أنواع، منها البرنوس الأبيض الذي يصنع من صوف الغنم ويجب أن يكون الصوف

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج5، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1998م ص- ص 445،446.

[2] **سخاب الريحة:** وهو سلسال يصنع من بذور نبتة تسمى القمحة، تعجن مع الطيب والمسك والورد، ثم تقسم إلى حبيبات صغيرة وتثقب بأعواد الحلفة، من ثم يتركونه ليجف، بعد ذلك يشكلون به السلاسل.

[3] **النقاب:** وهي مجموعة سلاسل من الفضة تغطي كل الرقبة وأحيانا تصل على الفم.

[4] مقابلة شخصية، عون زهرة، المرجع السابق.

[5]Alfred Baraudon, Algérie et Tunisie récits de voyage et études, librairie Plon, paris, 1893, P171.

[6] سعدي شخوم، المرجع السابق، ص 77.

نقي خالي من الشعر ويخيط بخيط من الحرير، وهناك البرنوس الأحمر الذي يصنع من وبر الإبل وهو أكثر تكلفة من البرنوس الأبيض، وبرنوس البيدي وهذا النوع يكون خشن وثقيل مائل إلى الزرقة بسبب الصبغة التي تضاف إلى نسيجه، ويصنع من الصوف الممزوج بشيء من شعر الماعز[1]، بالإضافة إلى القشابية وهي نوع من اللباس الخاص بفصل الشتاء، يحاك من الوبر أو الصوف ويغطي كامل الجسم.

3-2-الأطعمة:

كانت مأكولات سكان منطقة الزيبان بسيطة وهذا دليل على بساطة أهلها ومستواهم المعيشي، فمن أكثر الأكلات تناولا خاصة في المناسبات من زواج وختان...وغيرها هو الكسكس الذي يتم تحضيره من مسحوق الدقيق والماء، ليمر بعدة مراحل قبل أن يتم طهيه فوق البخار ليصبح طريا ويضاف له المرق والخضر وأحيانا قطع لحم، وكان يحضر من دقيق القمح أو الشعير، وقد تعددت أنواع الكسكس فهناك كسكس مسفوف ويكون بالسكر والزبيب،والكسكس بالمرق الأحمر والكسكس بالفول ...[2].

كان سكان منطقة الزيبان يعتمدون في أكلهم على ما يتوفر لهم على مدار السنة مثل التمر، فكانوا يصنعون منه الرُّب وهو بمثابة مربى التمر، يصنع بغلي التمر إلى أن يتحلل

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص- ص 389-390.
[2] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 77.

فتنتزع نواته ثم يمرر على قطعة قماش لتصفيته، وبعد ذلك يترك ليتخثر ويصبح ذو طعم خاص وغني بكل مكونات التمر الأساسية، وقد يمزجه البعض بدهن الغنم[1].

كذلك الروينة التي تحضر بطحن القمح المحمص والتمر اليابس، وتأكل بعد خلطها بالماء أو الحليب، والبيصار التي تحضر بالفول واللحم، وأكلة الشخشوخة التي تصنع من فتات الدقيق (أنظر للملحق رقم 09) الذي يتم تحضيره وطهيه لتضاف إلية المرق والخضراوات وزيت الزيتون إن وجد إذ كان سكان المنطقة خاصة البدو منهم يستعملون بكثرة شحم الماشية من غنم وماعز مكان الزيت[2].

وقد كان يتم تجفيف اللحوم بعد تمليحها وهي طريقة قديمة كانت شائعة في شبه الجزيرة العربية، وسمي بالخليع أو القديد، ولم تستعمل طريقة التجفيف على اللحم فقط بل اعتمدوها أيضا مع الخضر، حيث يقومون بتجفيف الطماطم والفلفل والثوم وذلك من أجل الحفاظ عليها لأكبر وقت ممكن، بإضافة إلى تصبير اللبن وتحويله إلى مادة صلبة تدعى الكليلة[3].

صورة توضح طريقة تجفيف اللحم"القديد"

المصدر:. River Thérèse, Op-cit . p 61

[1]محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص328.

[2] مقابلة شخصية، عون زهرة، المرجع السابق.

[3] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 377.

أما في فصل الربيع فكان يتم تحضير الرفيس أو الزريقة وهي أكلة متكونة من رقاق وحليب وسكر، ويضاف إليها إما زبدة أو دهان ويرفقها كأس حليب أو لبن.

بإضافة إلى ذلك كانوا يأكلون الجراد وبعض الحشائش كالسلق(السبانخ)، والبسان، التيفاف والكُبار، التالمة...وغيرها وكانت تنبت بدون زراعتها[1].

3-3 الطب في منطقة الزيبان:

لقد كانت الحالة الصحية العامة في منطقة الزيبان سيئة جدا خلال العهد الاستعماري، حيث ظهرت أمراض وأوبئة تفتك بالسكان وذلك نتيجة غياب العناية الصحية، وقد عرفت المنطقة أوبئة كثيرة ومتنوعة وعلى فترات متعددة، ففي سنة 1848 ظهر وباء الجذري(Radical) بمنطقة الزيبان وفي السنة الموالية أي 1849 تفشى مرض الكوليرا(Choléra) بالإضافة إلى أمراض أخرى كالملاريا(Paludisme) والتيفوس(Typhus) وغيرها من الأوبئة، كذلك داء[2](Leishmanios Cutanée) سنة1920م أين قام الدكتور إيدموند وايتيان سرجون(et Edmond Etienne Sergent) بعدة زيارات إلى منطقة الزيبان لدراسة هذا الداء[3]، وقد ألح "الحاج طباني" على الأمراض المنتشرة بإقليم الزيبان، وقال:"أن 90% من شبابنا

[1] مقابلة شخصية، عون زهرة، المرجع السابق.

[2] داء الليشمانيوز بالجلد عرفه الأطباء العرب بأنه طفيليات أحادية الخلية تنتقل بذبابة القرقس، أما الأطباء الفرنسيين عرفوه كالتهاب عميق بالجلد،أكتشفت سنة 1921 عدة أصناف في الجنوب خصوصا منطقة الزيبان وجنوب مدينة قسنطينة.

[3] مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2018، ص 139.

القانطين بالدواوير عين زعطوط، جمورة، برانيس...والمركز البلدي للقنطرة يعانون من مرض الترخومة، أما مدينة بسكرة فهي لم تشهد أي مشروع صحي منذ خمسة عشرة سنة"[1].

كذلك وباء التيفيس الذي وقع مابين سنة 1941 وسنة 1943 وأودى بحياة الكثير من السكان، أما الأمراض المزمنة مثل السكري أو الكبد كانت مجهولة، كذلك بالنسبة لأمراض الأمومة والطفولة حيث كانت مجهولة هي الأخرى فكان الإجهاض والموت بالنّفاس من الأمور اليومية العادية، وأمراض الطفولة كانت متفشية بشكل خطير وعلى نطاق واسع حيث كان 70% من الأطفال يموتون بالحصبة والإسهال ناهيك على الأمراض الأخرى، لأن الطفل لم يتلق أي علاج أو لقاح، لذا يمكن القول أن الرعاية الصحية كانت مفقودة، ولم تكن من اهتمامات السلطات الفرنسية ولا من طموحات سكان المنطقة[2].

لقد تعددت أشكال وأنواع الطب الشعبي في منطقة الزيبان، منها طب الأعشاب الذي يعد فرعا من فروع الطب الشعبي الطبيعي، ويعتبر هذا الأخير أحد الطرق العلاجية الموروثة، حيث يتم استعمال المصادر الطبيعية المتوفرة من نباتات وأعشاب لها فاعلية في مقاومة الأمراض وهذا النمط متوارث عبر الأجيال[3] .

حيث كان سكان المنطقة يتداون بورق الزيتون لأجل الحمى وضغط الدم وعلاج السعال، وورق الخروع والقرعة لعلاج ضربة الشمس حيث يوضع فوق رأس المريض، ودماغ المعزة

[1] مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 204.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص – ص293 – 249.

[3] سعيدة شين، التصورات الاجتماعية للطب الشعبي دراسة ميدانية في منطقة الزيبان، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2015، ص 241.

مخلوط بالحشيش ويخمر لمدة سبعة أيام للنفساء، ونبتة الحرمل للركب، والشيح والزعتر مشروب للمريض، أما علاج الإسهال فتستعمل قشرة الرمان العرعار، ويستعمل الدقفت لعلاج آثار سم العقرب، ونبتة الخياطة لتضميد الجروح، وقد تمتد القائمة إلى عشرات من النباتات المفيدة والتي تثبت أهميتها كمواد صيدلانية ناجحة[1].

ونجد طب العظام متطورا إلى حد ما مقارنة مع أنواع الطب الشعبي الأخرى، وكانت طريقة التجبير ناجحة بحيث يقوم بهذه المهنة أشخاص توارثوها أبا عن جدّ، حيث يستعملون مواد بسيطة لإعداد الجبيرة كعيدان من قصب اليراع وخيوط من شعر الماعز، ومرهم من نبات الحناء مع البيض وزيت الزيتون وحب الرشاد[2].

ولم يكن العلاج بالأعشاب هو الشكل الوحيد من الطب الشعبي الذي يستعمله سكان منطقة الزيبان، فقد كان هنا علاج بالتمائم والتعاويذ، حيث يقوم الطالب بعلمه وأدواته برسم حرز(الحجاب) وعليه خطوط متقطعة وكلمات بمكانها إبعاد الجن عن المريض[3]، كذلك كتابة أدعية وأسماء الأنبياء على ورق ويضعه في قطعة قماش ويستعملها كحجاب ضد أي داء، وقد تعددت أغراض هذه التمائم فمثلا حجاب ضد لدغة العقارب يكتب فيه البسملة ثم يكتب "سلام على نوح في العالمين وعلى محمد في المرسلين فسيكفكم الله وهو السميع العليم، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فمن الله علينا وقنا عذاب السموم"، ثم

[1] أحمد خمار، المرجع السابق، ص – ص 78–79.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 303.

[3] Félix Haulfort, Op-cit, p16.

يختم النص بإسمي نوح ومحمد مكررين[1]، وهناك علاج للحمى الفجائية التي تصيب الإنسان ثم يشفى ثم تعاوده في اليوم الثالث، حيث يحضر المعالج برتقالة ويقوم بوخزها بالإبرة أكثر من مئة مرة ويقول:"أخرجي يا النوبة كما خرج اليهودي من رحمة الله" ويقوم بترديده كلما وخز البرتقالة، ثم تعطي للمريض ليأكلها[2].

كذلك العلاج بزيارة الأولياء الصالحين وأضرحتهم، حيث يذهبون إلى الضريح بغرض تحقيق أمنية أو تجاوز مشكل أو طلب الشفاء، كونهم يؤمنون بكرامة هؤلاء الأولياء وأنهم يحققون أمانيهم، وكان ضريح عقبة بن نافع وسيدي زرزور وسيدي خالد من أكثر المقامات التي تلقى إقبالا كبيرا من الزوار سواء من أهل المنطقة أو مناطق أخرى[3].

وبالنسبة لتوليد النساء كان يتم في البيوت تحت رعاية قابلة شعبية، عادة تكون امرأة مسنة اكتسبت مهارات التوليد عن طريق الخبرة، وقد كان معظم القابلات يجهلن قواعد التعقيم والنظافة بصفة عامة، وكانت المواد المحضرة لاستقبال المولود تقتصر على زيت الزيتون ومسحوق الدباغة والكحل، أما المضاعفات التي من الممكن أن تحدث للأم فلا تتحمل القابلة مسؤوليتها ويعتبر ذلك قضاء وقدر[4].

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 300

[2] لزهر غالم، مقتطفات من التراث الشفهي بمنطقة جمورة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)، 2016، ص 15.

[3] سعيدة شين، المرجع السابق، ص 245.

[4] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في منطقة سيدي خالد، المرجع السابق، ص304.

3-4 الألعاب الرياضية والفكرية:

3-4-1 الألعاب الرياضية:

من الألعاب الرياضية التي كانت منتشرة في المنطقة وتلعب في فصل الخريف مثل سيدي خالد[1]وبصورة كثيرة نذكر:

السباق: يقوم به مجموعة من الشباب

التلومة: وهي لعبة عريقة تشبه لعبة الهوكي الحديثة ويعتقد أن هذه الأخيرة مستوحاة منها وهي عبارة عن كرة تحضر من كرناف النخيل وليفه تضرب بأقواس من جريد النخل، وتلعب بفريقين وكل فريق له حارس مرمى، وتلعب في المرج او الساحات الواسعة[2]، كما أنها لعبة غير مرتبطة بعدد معين من اللاعبين لكن تشترط أن يكون الفريقين متساويين وهي كذلك غير مرتبطة بزمن فهي تنتهي بمجرد وصول أحد الفريقين الى نقطة محددة[3]، وتلعب في فصل الربيع بـ"جمورة"[4]، وفي بعض المناطق ليظهروا قدرتهم على الجري بسرعة، أو

لعبة التلومة " هاكورث "

المصدر: RivérThérées. Op-cit, p25.

[1] أمحمد حليس، محمد العربي حرز الله مقومات ثقافية وآفاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة، (د-ط)، منشورات الرياضي، (د.ب،ن)،2009 ص154.

[2] لزهر غالم، المرجع السابق، ص17.

[3] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

[4] لزهر غالم، المرجع السابق، ص17.

بين اثنين من المتسابقين لإبراز سرعة احدهما وهي رياضة سهلة.

ألقاب: تستلزم اللعبة فريقين من ثلاث لاعبين او أكثر لكل فريق، ويملك كل فريق ثلاث أقواب (أهداف) وعروس وهي عبارة عن حجر يعين كهدف يجب إصابته على بعد 10-5 متر حسب أعمار اللاعبين ويتم اللعب بالتداول بين الفريقين، الى أن يصيب احد الفريقين عروس الفريق الآخر، ليقترب أكثر من الأهداف الأخرى ليحاول إصابتها أيضا.

السّيهية: من الألعاب العنيفة إلى حد ما، يقع فيها الضرب بالأرجل وهي أن يقوم لاعب بالركض خلف المجموعة وهو على أربع (يجري على اليدين والرجلين) وعليه أن يصيب احدهم برجله ليحل مكانه، وهم يدورون حوله، وعند إصابة احدهم عادة ما يكون هناك جروح نضرا لسقوطه القوي على الأرض[1].

الحلالة "الغميضة": وهي رياضة يلعبها الصغار، تتطلب اختفاء من الخصم حيث يستدير احد الأطفال الى الحائط او الشجرة ويغمض عينيه ويعد الى العشرة أو عشرون ثم يفتح عينيه ويبدأ بالبحث عن باقي المجموعة فإذا رأى احدهم يرجع الى مكانه ليقول له كلمة "طارى" وتعني رايتك ليخرج من مكان مخبئه.

3-4-2 الألعاب الفكرية:

تعرف المنطقة ألعابا فكرية عديدة تستوجب ذكاء ومهارة في إدارتها من بينها الخربقة والدّامة والغزو والمثلثة والسّيق الى غير ذلك، أما الدومنو ولعبة الورق فتعتبر ألعابا دخيلة على

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص496.

المنطقة فهي لم تكن معروفة في التاريخ المحلي الثقافي بل دخلت في عهد الاستعمار الفرنسي ومن الألعاب المحلية الفكرية نذكر:

لعبة الخاتم: وهي من الألعاب التي تلعب في ليالي الشتاء بصفة خاصة أثناء السهرة، تتكون من فريقين غير محددي العدد، يتقابل أعضاء الفريقين، يضع احدهم خاتما في راحة يده بعد أن يخفيها وراء ظهره، ثم يظهر يديه ويطلب من الآخر معرفة مكان الخاتم أهي في اليد اليمنى أم اليد اليسرى، وينشد الآخر "شادي بادي قالي راسي إدي هاذي ولا هاذي قلت ندي هاذي" فيفتح اليد التي اختارها ويري ما اذا فيها الخاتم أم لا[1].

الخربقة: هي لعبة ذهنية منتشرة على نطاق واسع من الزيبان، وهي اللعبة المفضلة لدى السكان خاصة فئة الكهول والتي لا تزال إلى يومنا هذا، وهي لعبة إستراتيجية في غاية التعقيد، بحيث أن ارتكاب أي خطا تكتيكي من طرف لاعب في اختيار مواقع الجنود(الكلاب) أو تحويلهم على ساحة المعركة قد يكلف صاحبها الخسارة الأكيدة، تبدأ اللعبة من الحطّة وهي اختيار الأماكن التكتيكية المناسبة للجنود على ساحة الخربقة، فيخوض اللاعبان معركة حقيقة تستدعي من كل لاعب المهارة والتحرر من الخصم مع استعمال الذكاء والصبر والمراوغة والتدبير[2].

صورة توضح لعبة الخربقة

المصدر: محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص489.

[1] لزهر غالم، المرجع السابق، ص19.

[2] محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص- ص482-483.

لعبة المثلثة: هي لعبة بسيطة يلعبها الكبار والصغار على حد السواء، وتستدعي ثلاثة بيادق "جنود" فقط لكل لاعب، يتم تحريكها من قبل اللاعبين محاولة منهما جعلها في صف واحد في أي اتجاه كان، لينتصر بذلك على خصمه[1].

هناك العاب خاصة بالنساء والعاب خاصة للأطفال لا يكفينا الوقت لذكرها جميعا، لهذا قدمنا لمحة عن أشهر الألعاب في منطقة الزيبان.

صورة توضح لعبة المثلثة

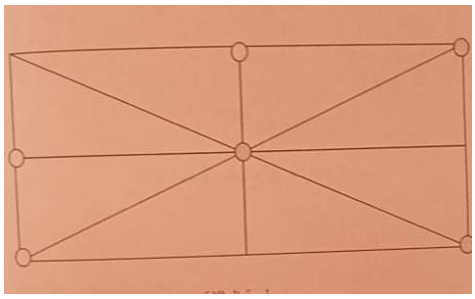

المصدر :محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد،المرجع السابق، ص490.

3-5 المعتقدات:

3-5-1 الاعتقاد بوجود الشواهد والمقامات:

كانت منطقة الزيبان كبقية مناطق الجزائر تزخر بالشواهد والمقامات أثناء الوجود العثماني وإبان الاحتلال الفرنسي، وقد سعى الاستعمار الى تعزيز هذه الظاهرة بخطط مدروسة.

3-5-1-1 المقامات:

المقامات هي عبارة عن قبور المشايخ والزهاد وبعض الجدود ومن يعتقد في صلاحهم، ينسب لهم كرامات، ويعتقد أن التقرب منهم وسيلة لتحقيق الدعاء ورضا الله تعالى، حيث يقصدها العامة للتبرك بكراماتهم والتوسل بهم لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم، كما أنها أقيمت

[1] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

لتمجيد الموتى وعلى رأسهم الدراويش وأقطاب صوفية، وانتشرت معها مظاهر مثل الحضرة واستعمال البخور وإقامة ولائم "المعروف" الذي لا يزال موجود إلى الآن ولو بشكل محتشم، وتنسج حول هذه المقامات القصص والروايات العجيبة والقدرات الخارقة لصاحب المقام، وهي أحاجي يتناقلها الناس شفويا وبمبالغة شديدة، أما الشواهد فهي المقبرة وما تحتويه من قبور أولياء صالحين وأماكن أخرى[1].

أ_طقوس زيارة الولي:

أثناء زيارة الولي تقدم له قرابين وهي عبارة عن أضحية تقدم كنذر للولي حيث تختلف هذه النذور حسب الحالة الاجتماعية للزوار، فإذا كان ميسور الحال فقد يقدم الذبائح أو الأغطية أو الملابس للضريح، أما القرابين فتتمثل في كباش وأبقار بحيث تذبح وتقدم مع الطعام لأهل المنطقة والزوار، ويقال أن دم هذه الذبيحة مشبع بالبركة، ولما تكون في شكل طعام فهي قدسية فمن يأكله يشفى وتبعد الأرواح الخطيرة عنه، أيضا تقدم له الهدايا التي تتمثل في الألبسة (البرانيس، أغطية الضريح والفراش ولوحات قرآنية والبخور والحناء)، وهذه الهدايا يعتبرها مقدموها واجب عليه ليرد له الولي الهدية بالرضا والبركة[2].

ومن الطقوس الشائعة أيضا استعمال الشموع والعطور والبخور: فهي طقوس أساسية لزيارة الضريح وتعتبر شكلا من أشكال الهدية التي تقدم للولي، فالشمع ينير المكان ويطرد

[1] حياة بزيو، المرجع السابق، ص34.

[2] بن الحاج جلول لزرق، الممارسات الطقوسية في ضريح سيدي أمحمد بن حودة "بغيليزان" مقاربة أنثروبيولوجية، مذكرة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2011، ص146-147.

الظلمة والوحشة عن الولي، فهم يفترضونه حيا، كما أنها تباع بجانب الضريح ليشتريها الزوار ويأخذونها معهم عند عودتهم للمنزل، وهناك من يأخذ قطعة قماش تكون موجودة داخل منزل الولي، ويكون مدخل الضريح وداخله خليط من الروائح والعطور والعنبر والمسك والبخور(محليا يدعى الجاوي)، فيعتقد أن هذه الروائح تطرد الجن والشياطين من الضريح وعن وصاحبه.

- طقوس الحناء: توضع بعض الحناء على جدران الضريح والمقامات[1] من طرف الزوار وهي دليل على التضحية والانقياد.

أما الطقوس الشفوية فالرجال والنساء يقفون أمام الضريح يتضرعون ويتمسحون بالكساء الذي يغطي الضريح، ويدعونه لقضاء حوائجهم في الدنيا والآخرة، وأكثر التعابير المتداولة هي الجاه: "جاهيتك جاه سيدي فلان"، "يا سيدي فلان"، ويقصد بها الرجاء، أي يرجو الولي لقضاء أموره بعد أن عجز من تحقيقها.

هذه أشهر الطقوس عند أهل المنطقة عند زيارتهم للولي حيث يدعوه كل محتاج، أما للشفاء من مرض، الرزق، المرأة التي لا تنجب وإلى غير ذلك، فيعلن عن يوم يزار فيه الولي ويأتي الناس من كل مكان وتقام وليمة بجانب الضريح بالإضافة إلى القيام بالذكر، الأذكار التي يصطحبها قرع "البندير" أو الدف ومن الأذكار التي تذكر:

"الله الله – ويارب والله"

[1] بن الحاج جلول لزرق، المرجع السابق، ص- ص 148-149.

"الله الله بها نذكر ... هذا الشيخ لمنور".

قلت نزور ليوم ...قلبي مهموم ... سيدي الطاهر الوالي[1]... بحر العلوم".

"ها طريق سيدي لغزالي ... اشق لجبال الله ...من زارك أسيدي الغزالي[2]... إروح فرحان".

"سيدي طيب[3] أغوت الزمان ... روحوا يا الإخوان روحوا فيلمان".

ب_أمثلة عن زيارات الأولياء:

_جامع سيدي عمران[4]: يقوم سكان المنطقة بزيارته فيحددون موعدا لذلك ويخبرون به جميع أهالي المنطقة لمن أراد الحضور، مثلا يوم الخميس توجد هناك زيارة للولي فيأتي الناس من كل مكان وتقام وليمة للغداء" المعروف" عند جامع الولي والتي هي عبارة عن أكلة" الشخشوخة"، وتقام الحضرة التي تتشكل من خمسة أو ستة أشخاص يقومون بالتحضير أي الذكر والدعاء الجماعي بشكل إيقاعي وذكر أسماء الله الحسنى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويستخدم الدف" البندير" أثناء ذلك وهو نوعا ما يشبه المديح ومن الأذكار التي تردد في هذه الزيارة :

-" ها الله ها الله- ويا ربي وا الله" ، بالإضافة الى " ها الله ها لله ".

---

[1] **سيدي الطاهر:** ولي صالح بمنطقة تبرماسين.

[2] **سيدي الغزالي:** ولي بمنطقة تيبرماسين – سيدي مصمودي.

[3] سيدي الطيب، ولي بمنطقة ليانة.

[4] **سيدي عمران:** هو ولي صالح حسب الروايات أصله من منطقة واد ريغ، إذ أنه تشاجر مع أهله فحمل كلبه وتركهم، فأتت به الأدراج إلى منطقة تاجموت بالضبط "هيغرمين" فوجده فئة من فرقة الأشراف" الشرفة" فضربوه بالحجر فقام بالدعاء عليهم فماتت ماشيتهم في ذالك اليوم، لهذا أسرعوا للاعتذار منه ومنحوه قطعة من الأرض ليملكها ويستقر بها وهكذا أصبح معروفا عند سكان المنطقة بطيبته وكرامته ونال الاحترام، تنتمي اليه ستة فرق(أفرن، تيفران، أيفري، تافساست، ويبدن، بنقوشن).

– جيتك حفيان ونادي....سيدي عمران بلغ مرادي.

– بابا ها بابا ... أصيد الغابة ...سكان مابين نزل[1]... مول القرابة[2] أجدي عمران الحر.

ها الإخوان راكم جيتوا ... ومرحبا واش بغيتوا ... بغينا صلاة محمد ... تنفعنا نهار نموتوا.

_جامع سيدي احمد بن رحمون[3]: نفس الطقوس تؤدى ، لكن تستمر هذه الزيارة يوما كاملا فيقدمون معروفا على وجبة العشاء وهي "أكلة الشخشوخة"، ويبيتون عند مقامه ويقومون بالذكر طوال الليل الى غاية الصباح فيقدمون المعروف مرة أخرى وهو عبارة عن تمر"الغرس" و" الرقاق" بعدها يفترقون، وهذا الجامع كان له حارس في كل يوم جمعة يشعل له شمعة[4].

3-5-1-2 الشواهد:

وهي أماكن محددة خارج المقبرة، تزار في كل وقت أو في مواسم معينة، لغرض الدعاء والتوسل، وهي فرصة كبيرة لخلق مجالس نسوية وتبادل الأخبار وممارسة هوايات باسم العادات والتقاليد مثل الضرب على البندير والغناء وقول الشعر والعاب تراثية متنوعة، وعادة ما يكون الذهاب إليها لممارسة نشاط يومي كغسيل الملابس وغسل الصوف وجلب الماء[5].

---

[1]**سكان مابين نزل:** يسكن بين المنازل.

[2]**مول القرابة:** صاحب الجامع.

[3]**سيدي أحمد بن رحمون:** ولي بمنطقة جمينة، تنسب إليه الفرق التالية(أولاد سيدي احمد، لغلغ، تيمزرفت، رفاعي، زازلي، معنصري... .

[4] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

[5]حياة بزيو، المرجع السابق، ص37.

3-5-2 الاعتقاد بتلبس الجن:

في هذه الفترة الاعتقاد بتلبس الجن أمر لا يجادل فيه لدى الأغلبية، فهي فترة سيطرت عليها "الأمية، الجهل، الجوع، الاضطهاد والخرافات"، والملاحظ أن الكثير لهم مركوب ويمنح له اسم شخصي ويحتفي بحضوره[1].

3-5-3 اعتقاد يد فاطمة:

يقول الرحالة ليدر انه وهو يجوب أسواق بسكرة رأى الناس في حوانيتها تعلق "يد فاطمة" لتدفع عنهم الحسد وكيد الشيطان، أيضا يعلقونها على أبواب ديارهم ويضعونها في أعناقهم[2] وفوق الرأس لتحميهم من عين الشيطان، وهي قطعة مصنوعة على شكل يد وأثناء تعليق هذه اليد يستخدم الناس عدة عبارات لتكف عنهم الأذى مثل: "خمسة في عينيك"، "خمسة في عين الشيطان"[3].

3-5-4 طقس احتباس المطر:

الطقس يدعى محليا ب"**أَغَنْجَا**" ويتم بتزيين المغرف الكبير **(أَغَنْجَا)** بالقماش والحلي والورود وتحمله امرأة طاعنة في السن وفي بعض المناطق فتاة عذراء تتلوها النساء وهن يطفن في أرجاء القرية مرددات أشعار يتوسل بها طلبا للمطر قائلات" **أَغَنْجَا جَارْ إِغَزْرَانْ أَرَبّي نَفوذْ آمَانْ أَوْ أَنْزَارْ، أَغَنْجَا جَار إِغَزْرَانْ أَرَبّي أَرْزَمْ مَاقَّانْ**" بمعنى المغرف يطوف بين الوديان، يا

[1] عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص62.

[2] عبد القادر بومعزة، المرجع السابق، ص60.

[3] M .W,Hilton-Simpson, op-cit,p81.

رب أروي العطشان، المغرف يطوف بين الوديان، يا رب فك عقدة السماء"، وهذا الطقس لفك قيد السماء وقيد المطر، فتقوم الفتيات أولا بحمام الإبكار وهو سكب الماء على الجسد وتأخذ العجوز جرعات صغيرة من كل استحمام لتقدم بعد ذلك قربانا للشجرة المقدسة، ثم تقف كل الفتيات وتفك كل واحدة حزامها وتدعه يسقط على قدميها فهذا دليل على الرغبة في الإخصاب، وهذه الدلالة من خلال المقارنة بين الاتصال بين المرأة و الرجل من جهة و الأرض و الماء من جهة ثانية، بعد ذلك كل فتاة من اللاتي سبق لهن أن قمن بطقس الاستحمام تقدم خصلة من شعرها تجمعها العجوز وكل هذا يقدم هبة لقوى الشر طردا للنحس الذي يحبس المطر[1].

فيقول الرحالة سامسون انه رأى هذا الطقس في بلدة القنطرة وفي أحد شوارعها وهو يتجول "مجموعة من الفتيات يتهادين في الطريق وهن يحملن ملاعق خشبية ويلبسن ثيابا من الحرير وفي معاصمهن أساور من فضة وينشدن"الملعقة تمرح في الطريق...السحب تعلو في الفضاء...أن المطر يسقط"، يحدث هذا أثناء توزيع الطعام على الناس احتفالا بالمطر الذي هو رمز الخصوبة والنماء[2].

[1] دردوني سليم، دور التراث الثقافي الأمادي الجزائري في التنمية المستدامة وصناعة السياحة الخيمة فضاء لحفظ الموروث الثقافي استحضار القيم البدوية، **مجلة تراث الزيبان** ،ع 02، 2019، ص 169.

[2] M .W,Hilton-Simpson, op-cit, p45.

الفصل الرابع: الحياة الثقافية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

أولا: التعليم في منطقة الزيبان.

ثانيا: العمران في منطقة الزيبان.

ثالثا: الفنون في منطقة الزيبان.

تمهيـــد:

إن الجانب الثقافي جزء لا يتجزأ من عملية تطور ونمو وتقدم المجتمعات، حيث يعد مظهر من مظاهر حياتها اليومية وهو المعبر الأول عن حالتها الاجتماعية، لذا سيعالج هذا الفصل الحياة الثقافية في منطقة الزيبان بالجنوب الشرقي الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي الاحتلال المحددة من سنة 1844م إلى 1954م ويهدف إلى إبراز مظاهر الحياة الثقافية في المنطقة بمختلف تجلياتها والتي في مجملها تكون ثقافة محلية شعبية، وهذه الحياة الثقافية الشعبية ناتجة بطبيعة الحالة ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفاعلات اليومية بين عناصر المجتمع بالإضافة إلى حاجاته ورغباته، وتتمثل هذه المظاهر الثقافية التي سيتطرق إليها هذا الفصل في: التعليم وكيفية تلقينه ومستوياته أيضا الطابع العمراني التي كانت عليه المدن والقرى بالمنطقة إضافة إلى مجموعة من الفنون" الشعر، الرواية والقصة، الموسيقى، الرقص، المسرح، السينما".

أولا: التعليم في منطقة الزيبان

لقد عانى قطاع التعليم كثيرا في الجزائر عموما وفي منطقة الزيبان على وجه الخصوص، خاصة بعد تطبيق السياسة التعليمية الفرنسية على الجزائريين والتي كان جوهرها محاربة اللغة العربية وهذا كله بهدف طمس الهوية الجزائرية، حيث وضعت مكتبا عربيا لمراقبة التعليم، وفي 24 سبتمبر 1904م أمر الحاكم العام جونار (Jonnart) بجعل رخصة التعليم تقتصر على القرآن وحده دون تفسيره[1].

1-التعليم العربي:

1-1-التعليم في الكتاتيب القرآنية والزوايا:

كانت الزوايا تفتح أبوابها للصغار ليتلقوا فيها دروس حول مواد دينية وغير دينية في المدن والأرياف، بحيث تساهم في تكوين الأجيال الصاعدة وتحضر الشباب قصد إرسال أحسنهم لإتمام الدراسة في تونس أو المغرب الأقصى أو المشرق (الأزهر) أما الكتاتيب القرآنية فكانت تعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم[2].

إن المنهج المتبع في الكتاتيب القرآنية يعتمد على التعليم الشفوي بقراءة القرآن من طرف المعلم وتكراره من طرف التلاميذ، بداية من تعليم الحروف[3]، فيجلس الأطفال من مختلف الأعمار ذكورا وإناثا على الأرض في شكل دوائر نصفية، فيملي عليهم أجزاء من القرآن

---

[1] فرحات عباس، ليل الاستعمار حرب الجزائر وثورتها، تر: ابو بكر رحال، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 25.

[2] الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.س.ن)، ص- ص 13-14.

[3] عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017، ص 132.

الكريم يكتبونها على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال، وأقلام من الخشب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق، وبعد كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية، ثم يتلونه في المساء ويقرؤونه جهرا حتى يحفظونه ثم يمحونه في صباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره وهكذا بصفة دورية حتى يأتون على كل سور القرآن وأحزابه[1].

لم يكن التعليم في الكتاتيب له مواعيد أو مواقيت مضبوطة للتعلم وإنما المعلم (الطالب) هو الذي يحدد وقت التدريس، وكانت هذه المدارس تكوّن الأطفال للالتحاق بالتعليم الثانوي المتمثل في الزوايا[2].

كان المؤدب أو المعلم يدعى "الطالب"أو"سيدي"، وهو شخص متواضع لا تحدد له أجرة–أي

صورة توضح الطريقة التقليدية لتلقين التلاميذ(القندوز) القرآن الكريم.

المصدر: محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص265.

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 129.

[2] أسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، دراسات نفسية وتربوية، **مخبر تطوير الدراسات النفسية والتربوية**، ع07، جامعة قاصدي مرباح، (ورقلة –الجزائر)،2011 ، ص73.

راتب– إلا ما يقدمه الأطفال أو أبائهم عند مناسبات مرتبطة بالتعليم ومراحله مثل الفتوح الذي يكون وقت دخول الطفل أول مرة للكتاب، والختمة ويقصد بها ختمة جزء من القرآن، الحضور وهو كمية من الحطب يحضرها الصبي في الشتاء للتدفئة[1].

وقد كان عقاب الطالب قاسيا على التلميذ(القندوز) حيث يستخدم طريقة الفلاقة، لكن بالرغم من تلك القسوة المفرطة إلا أنه كان حريصا كل الحرص على مصلحة تلاميذه وفاءا لرسالته الشريفة، ووفاء للأولياء الذين وضعوا كامل ثقتهم فيه، حيث كان يثابر ويحرص على أن يتخرج على يده أكبر عدد ممكن من حفظة القرآن الكريم.

صورة توضح طريقة العقاب التي يستخدمها الطالب "الفلاقة"

المصدر:

محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص 265

أما بالنسبة لزوايا فقد لعبت دورا مميزا سواء كان علميا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو دينيا، رغم السياسية التعليمية التي طبقتها فرنسا من أجل القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية، بحيث قامت بهدم مدارس القرآن والزوايا بالمدن والأرياف وإخضاعها للمراقبة، ودمج تعليمها ضمن المدارس الابتدائية وذلك من خلال فرض قوانين أصدرتها فرنسا حول السياسة التعليمة الواجب إتباعها من طرف الأهالي[2].

[1] موسى بن موسى، المرجع السابق، ص 100.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص– ص 169–172.

فنالت منطقة الزيبان حظها من هذا التعليم إذ حسب إحصائية تعود الى عام 1895م نجد خمسة وتسعون مؤسسة دينية وثقافية مبنية حول القبور أو المساجد بالزاب الشرقي، حتى أن أحد أبناء الزاب الشرقي الجنيدي أحمد مكي يوضح حالة التعليم بخنقة سيدي ناجي، ويطلق حكما قاسيا يؤكد به تحامله الشديد ضد التعليم التقليدي، فيقول"فالولد يقضي جل حياته في الدروس القرآنية منكبا على لوحة مملوءة بحروف سوداء، يكررها صاحبها صباحا ومساءا، من دون فهم حتى يعوج مستقيم عمودنا"[1].

توجد العديد من الزوايا في منطقة الزيبان والتي عرفت بأصالتها وقدمها منها:

أ_زاوية خنقة سيدي ناجي:

كان بخنقة سيدي ناجي زاويتان: الزاوية الناصرية التابعة لعائلة ابن حسين والزاوية الرحمانية التي قام بإنشائها عبد الحفيظ الخنقي، فكلاهما لعب دور كبير في نشر التعليم في البلدة وضواحيها، إلا أن السياسة الفرنسية لجأت إلى مبدأ التعامل على أساس العداوات والموالات بين الساكنين، ولما حافظت زاوية عبد الحفيظ الخنقي على مبدئها لدعم الثورة كثورة الزعاطشة، وثورة الصادق بالحاج بالأوراس[2]، ومن تلاميذ زاوية خنقة سيدي ناجي

[1] عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920و1954، دار طليطلة للنشر، الجزائر، 2013، ص – ص 21–23.

[2] كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)،2013 ، ص – ص 78–80.

الشيخ العربي التبسي[1] الذي بقي فيها لمدة ثلاث سنوات حفظ من خلالها القرآن ومبادئ الدين واللغة العربية، كما يوجد بالزاوية ملحق لإقامة الطلبة الدارسين فيها[2].

ب_الزاوية المختارية بأولاد جلال:

تنتسب إلى مؤسسها المختار بن خليفة بن عبد الرحمان، وقد تم دفنه بزاويته التي قام بتأسيسها في بداية القرن التاسع عشر، لعبت الزاوية دور كبير في نشر التعليم في هذه الفترة إذ وصل عدد طلابها غلى خمسمائة طالب[3].

وقد حظيت الزاوية المختارية بسمعة طيبة في أوساط طلاب العلم، وذلك نظرا لبرنامجها العلمي الثري بمختلف المواد من جهة، والشيوخ الذين يعملون بها والمعروفين بـتمكنهم في مختلف العلوم منهم الشيخ العابد السماتي، والشيخ مصطفى بن قويدر مبركي، والشيخ بو الأنوار بن محبوب[4].

بالرغم من أن طريقة التعليم بهذه الزوايا عتيقة وتقليدية إلا أنها استطاعت النهوض بواجباتها في خدمة العلم، مما كان له أثر في المحافظة على تراث الأمة، وهذا ما أحبط المحاولات الاستعمارية الرامية غلى إذابته وسط الثقافة الفرنسية.

---

[1] **العربي التبسي**: ولد عام 1895، حفظ القرآن على يد أبيه انتقل إلى زاوية خنقة سيدي ناجي، درس بها العلوم الدينية ثم التحق بجامع الزيتونة عام 1913، وتحصل على شهادة الأهلية.**أنظر:** رابح لونيسي، العربي التبسي الفقيه الثائر، دار المعرفة، الجزائر، ص، ص 5،6،17.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 219.

[3] عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، المرجع السابق، ص76.

[4] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص389.

1-2 التعليم في المدارس (العربي الحر):

سعت الإدارة الفرنسية من أجل القضاء على التعليم العربي والشريعة الإسلامية، لكن مع مطلع القرن العشرين وبروز الحركة الإصلاحية التي أبدلت الوضع، وظهور الصحافة التي أخذت من التعليم خبر بصفحاتها وذلك بالمطالبة بإنشاء مدارس للتعليم العربي الحر[1].

إلى جانب ذلك كان لجمعية العلماء المسلمين دور فعّال في المحافظة على الثقافة القومية ونشر التعليم العربي الحر بكافة ربوع الوطن، وعليه وفي هذا الإطار طالبت جمعية العلماء المسلمين وسائر الجمعيات الدينية الحق في إنشاء مدارس للتعليم العربي، دون استرخاص من الإدارة الفرنسية إذ يكفي تقديم طلب متضمن اسم وعنوان المدرسة[2] .

ومنطقة الزيبان كغيرها من مناطق الجزائر مستها هذه الحركة الإصلاحية لتنشأ بها العديد من المؤسسات التعليمية العربية الحرة نذكر منها:

أ_مدرسة السعيد الزاهري:

في محاولة قام بها مجموعة من زعماء الإصلاح في منطقة الزيبان، بدعوة من الأستاذ السعيد الزاهري[3]، كتبت فيها جريدة النجاح القسنطينية في عددها بتاريخ 1927/02/23 وما

---

[1] مازني صلاح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية1931 1939، دار عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص47.

[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر،2001، ص312.

[3] سعيد الزاهري:(1899-1956) وهو صحفي وشاعر وكاتب، من رجال الحركة الإصلاحية، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة، درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم بجامع الزيتونة.**أنظر:** عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت،1980، ص 157.

بعده مايلي:"حول أحداث مدرسة قرآنية ليلة الجمعة السالفة، وقع اجتماع عظيم بمسجد بكار لأجل إحداث مدرسة قرآنية لبلاد بسكرة، وهذه الفكرة قد اختبرت قبل الاجتماع واستعد الأفراد إلى مؤازرتها جهد المستطاع، وإخراج هذا المشروع من حيز القول والفعل" وقد ساعد الزاهري في مشروعه هذا صديقه فضيلة السيد الحازم العمودي بمعونة الشيخ الطيب العقبي وغيرهم من العلماء[1].

ب- مدرسة الإخاء:

تأسست مدرسة الإخاء للتربية والتعليم عام 1931م، على يد الشيخ محمد خير الدين، جاء تأسيسها نتيجة عدة عوامل منها سعي جمعية العلماء المسلمين لنشر التعليم بكافة ربوع الوطن، وقد كانت لها منافع في منطقة الزيبان حيث كان تأسيس هذه الجمعية بانتخاب قصد تكوين هيئة لإدارة شؤونها مؤلفة من ثمانية عشر عضوا،فكانت النتيجة إجماع الحاضرين على تأسيسها، وقد لاقت هذه المدرسة نجاحا كبيرا عاد بالفائدة العلمية على أهل الزيبان[2]، حيث زارها العلامة عبد الحميد بن باديس فقال فيها مايلي:"ومن أعظم ما يدخل السرور على قلب المسلم أن يرى إخوانه المسلمين يمثلون معنى الأخوة الإسلامية تمثيلا علميا مثل ما شاهدته ببسكرة..."[3]، وبعد توقف جمعية الإخاء وتفرق أفرادها أنشأت الجمعية

[1] محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ط2، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص91.

[2] عبد القادر قوبع، التعليم العربي الحر بالجنوب الجزائري منطقة الزيبان أنموذجا 1920-1954، **مجلة دراسات تاريخية**، مج 8، ع1،2010، جامعة زيان عاشور، الجلفة (الجزائر)، ص- ص 84-85.

[3] وزارة الثقافة، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، التربية والتعليم، الخطب والرحلات، ج4، الجزائر،2007، ص255.

الخيرية لإعانة الفقراء والمساكين بعد تأسيسها سنة 1936م مدرسة لتعليم البنات والبنين سمتها مدرسة التربية والتعليم[1].

ج_مدرسة الهدى بالقنطرة:

تأسست مدرسة الهدى على يد السيد موسى بن حمودة عام 1931م، وساعد في تأسيسها ثلة من الأعيان والنواب مثل: الدكتور سعدان والوجيه محمد بن المبارك[2]، اتخذت في البداية مسجد أولاد بويل مشروعا لإقامة مدرسة بجواره، والنواة الأولى التي انطلقت به الدراسة، حيث احتوت على أربعة أقسام، وقد تم افتتاحها رسميا في حفل بهيج يوم 9 جانفي 1947م،بحضور رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ محمد خير الدين وأحمد رضا حوحو، والشاعر محمد العيد آل خليفة والذي خلد المناسبة بقصيدته التي مطلعها:

فتح جديد قد بدأ في فتح مدرسة الهدى

بشرة لقنطرة سمت ونمت شبابا رشدا[3].

ورغم الجهود المبذولة من طرف جمعية العلماء المسلمين ونخبة المنطقة من اجل نشر التعليم العربي الحر إلا أن فرنسا بقيت متشبثة في مشروعها الهادف لفرنسة المجتمع، من

[1] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 129.

[2] عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920و1954، المرجع السابق، ص147.

[3] محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.س.ن) ص- ص 102-103.

خلال تدعيم مجال التعليم في إطار التعليم الفرنسي الرسمي، وذلك بفتح المؤسسات التعليمية في العديد من الدوائر التابعة لمقاطعة قسنطينة.

2-التعليم الفرنسي

2-1-المدارس العربية الفرنسية:

إن التعليم الفرنسي في الحقيقة ما هو إلا وسيلة وسياسة للسيطرة على القبائل، حيث كان الغرض من هذا النوع من المدارس هو القضاء على المدارس العربية الإسلامية"[1].

فأول مدرسة (فرنسية عربية) فتحت أبوابها ببسكرة تعود لعام 1856م، التي أنشأها الجنرال ديفو(DESVAUX) قائد مقاطعة باتنة سنة 1855م، وأشرف على قيامها الرائد سيروكا القائد الأعلى لفيلق دائرة بسكرة، وعين لإدارتها والتدريس فيها كولومبو(COLOMBO)، وشرع في عمله بعد إصدار الفرنسيين سنة 1856م لمنشور يلزم بموجبه سكان الدائرة العسكرية بسكرة بتسجيل أولادهم في المدرسة، وكان من أوائل الذين درسوا في هذه المدرسة بلقاسم بن سديرة، حيث وصل عدد التلاميذ فيها عام 1882م إلى ثمانين تلميذا[2].

وبعد ذلك تحولت إلى المدرسة العليا في أكتوبر 1883م، كان بها ستة أقسام بيداغوجية يديرها كل من الطيب بركات، عبد الرحمان بن سالم، وبالإضافة إلى شخصيات فرنسية، وقد

[1] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 54.

[2] فريح الخميسي، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصات ومسارها) 1914 -1956، المرجع السابق، ص 164.

تم تسميها بالمدرسة الرئيسية مقارنة بالمدرسة التحضيرية المفتوحة ببسكرة السفلية كملحقة بها قسمان بداغوجيان يديرهما العربي قاضي ومحمود عقلي[1].

كان التعليم العام في المدارس التبشيرية محوره هو المرحلة الابتدائية إذ باستطاعة كل الأطفال الجزائريين أن ينضموا إليه دون مراعاة شرط السن، حيث كان همّ المستعمر الأول هو استقبال أكبر عدد[2]، وتمت بذلك إقامة هذا النوع من التعليم بمنطقة الزيبان لالتحاق أولاد الأهالي به المدارس –الابتدائية الفرنسية– وذلك بموجب المرسوم المؤرخ بـ18 أكتوبر 1892م.

وكانت هناك في مدينة بسكرة مدرستان، الأولى في ظاهر المدينة قرب محطة القطار وهي مدرسة تقنية تحتوي على فروع مهنية كالميكانيك والكهرباء، أما عدد تلاميذها فهو مائة وستة جزائريين وثلاثة فرنسيين.

أما فيما يتعلق بمدرسة الأخوات البيض، فتوجد مدرسة على طريق مدينة بسكرة القديمة، وفيها مكتبة أيضا وهي مدرسة مهنية أيضا تهتم بتعليم البنات من نسيج الزرابي والطرز والخياطة والطهي، ولها معلمان جزائريان أما مدرسة المدرسة فهي وثلاث معلمات من الأخوات البيض وعدد التلميذات نحو خمسين بنتا[3].

[1] عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844–1962، (د.ب.ن)،2004، ص 44.

[2] محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830–1904 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر،2009، ص 136.

[3] أحمد خمار، المرجع السابق، ص61.

ثانيا: العمران في منطقة الزيبان

بعد أن تم احتلال مدينة بسكرة وما جاورها من قرى، قامت إدارة الاحتلال الفرنسي من أجل توطيد أوصالها بالمنطقة ومراقبة السكان المحليين بتشييد جملة من المشاريع في شتى المجالات خاصة مجال العمراني، حيث تم تخطيط الطرق وتشييد المباني والمؤسسات وفق النمط الأوروبي، وبذلك تشكل الفضاء المعماري في منطقة الزيبان المطبوع بثنائية،المدينة العربية المتخلفة والمدينة الأوروبية الجميلة والمتطورة.

1-العمارة التقليدية في منطقة الزيبان:

إن أكثر ما يميز المباني التقليدية هو أنها تبنى من المواد المحلية كالطين والتبن، وتسقف بجذوع النخيل وسعفها أو ما يسمى محليا "بالجريد"، وأيضا أغصان النخيل وتراعى في المنزل شروط التهوئة عن طريق فوهة في السقف، وعادة في مدخل البيت تجد غرفة خاصة بالضيوف ونتوفر لهم شروط الراحة، بالإضافة إلى الخيمة حيث كانت كل قبيلة أو عرش تختص بالون خاص لخيمتها عن باقي العروش الأخرى مثل اللون الأسود يميز خيمة عرش "أولاد نايل"، واللون الأحمر يميز خيمة عرش "بني بوسليمان"[1].

[1] سليمة دردوني،" دور الخيمة كموروث ثقافي في رسم ملامح الأنا والهوية والعلاقة مع الآخر، دراسة أنثروبولجية جنوب الأوراس والزيبان"، **أشغال الملتقى الثالث حول الهوية والتراث في ظل العولمة انتماء أم انكفاء**، مطبعة مزوار، (الوادي-الجزائر)، 2011، ص 42.

تشكل هذه المنازل تكتل أو بناء مشترك يعرف بالقصبة أو القصر، يتوسطه أو يعلوه المسجد وتوجد بداخله أزقة أو دروب ضيقة، ويحيط القصر سور كبير يحتوي على أبراج ويحيط بهذا السور خندق، وكل هذه الاحتياطات لدفع الغزاة والتصدي للهجمات[1].

صورة لحي من احياء الزيبان القديمة.

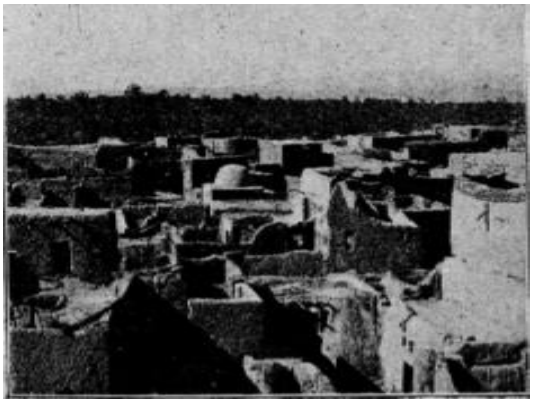

المصدر: Marcel Mommarché, Les Gvides, Blaus illustrés constantin,biskra,Elkatra-Timgad, touggourt,Aliprerie Hachette, paris, 1923, p55.

كانت الأحياء القديمة في منطقة الزيبان لا تتجاوز كونها نصبا ترابية أو صخرية أغلبها ذات لون واحد، حيث تتميز فضاءات المنازل والتي يطلق عليها عند سكان المنطقة بالسقائف، كما يوجد تميز جلي بين فضاء السكن وفضاء الخزن أو فضاء اللعب "لعب الأطفال"وأحيانا تشارك الحيوانات الداجنة فيه، وهذا يوضح محدودية رؤية المعمار وغياب فكرة التخطيط، كذلك افتقار المنازل للخصوصية من خلال نمط الأسر المركبة (الجد والأولاد والأحفاد) الساكنين في بيت واحد، ويضحى التداخل بين البيوت المجاورة والأسر الساكنة فيها لدرجة الاكتظاظ حتى أن المرء يشعر بأنه يحيا في حارة بدلا من السكن في بيت خاص به[2].

[1] عاشور سرقمة، تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى الصحراء الجزائرية نموذجا، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع 15، 2011، ص192.

[2] الهادي فاتح، قراءة نقدية للنصوص المعمارية للأحياء القديمة في بسكرة، **المجلة الخلدونية**، ع 01، 2000م، ص36.

حيث يقول الرحالة ألفريد(ALFERED):"دخلنا منزل أحد السكان وفي العادة غرفة واحدة تستخدم كغرفة نوم وطعام ومخزن في وقت واحد، وهي بسيطة فيها مدفأة من الطوب ويحيط بالبيت حديقة نخيل، وتعيش العائلات في بيت واحد"[1]

وقد وصف الرحالة جيل لوكريك واحة بسكرة قائلا:" كانت بسكرة القديمة قرية تقع في قلب الواحة، فيها دروب ملتوية محفوفة بحيطان متداعية، بيوت خربة ذات تربة جافة بالشمس ومضللة بالنخيل يبلغ علوه أربعين مترا، أما مدينة سيدي عقبة فكانت على النمط الصحراوي، دروب وبيوت من طين ووراء الأسوار نخيل، كانت المنازل ذات أبواب من خشب النخيل بلا نوافذ أو طوابق، ويوجد على سطح كل منزل قربة من جلد الماعز معلقة بمثابة خزان الماء[2]".

كذلك نجد القلاع مثل قلعة أكباش[3] في الجهة الجنوبية لجبل أحمرخدو، المقابلة للزاب الشرقي، تم تصنيفها كمعلم عمراني من طرف السلطات الفرنسية بتاريخ 30 أكتوبر 1928، بنيت القلعة على شكل مدرج عملاق، تمتد من وسط سفح الجبل شرقا إلى أسفله غربا، تم بناؤها بواسطة الحجارة والطين مع تدعيم جدرانها بواسطة جذوع الأشجار من نوع العرعار المنتشرة بكثرة في المنطقة، وذلك لإعطائها الصلابة اللّازمة لتماسك جدرانها، وكانت

[1]Alfred Baraudon , Op-cit , p117.

[2] جيل لوكريك، من موكادور إلى بسكرة (رحلات داخل المغرب والجزائر)، تر: بوشعيب الساوي، منشورات الجمل، بيروت، 2016، ص – ص 214–229.

[3] سميت بهذا الاسم لكون القلعة متشبثة (متكبشة) بالصخرة الملساء، وهي المكان الذي لجأ إليه أحمد باي عند انسحابه من مدينة قسنطينة سنة 1837.

الأبواب قصيرة مصنوعة من عدة ألواح خشبية مترابطة مع بعضها البعض، أما السلالم فتم إنجازها بجذوع الأشجار، أما النوافذ فاتخذت شكل مربعات ومثلثات صغيرة في غرف المخزن للتهوية، وتتكون القلعة من ستين غرفة[1].

1-1-العمارة الدينية:

تنقسم العمارة الدنية في منطقة الزيبان إلى ثلاث منشآت، تتمثل في المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء الصالحين، وتشير كلها إلى مدى ارتباط السكان بالدين الإسلامي، ومن بين هذه المنشآت نذكر:

1-1-1-المساجد: تنتشر في المنطقة عدة مساجد، ويتبع بعضها كتاتيب خاصة بتعليم القرآن أو ضريح لولي صالح نذكر منها:

أ_مسجد سيدي سعادة: من أهم المساجد العتيقة في المنطقة، يتوسط القصر بجانب السوق بالبلدة القديمة، وهو في الأصل معبد وثني ثم حوّل إلى كنيسة أثناء الاحتلال الروماني، وأثناء الفتح الإسلامي حوّل إلى مسجد، بني بمواد محلية من طوب وطين وجير تقليدي وجذوع النخل، تعرض للتفجير أثناء الاحتلال الفرنسي إثر اقتحام الزعاطشة كون المقاومون احتموا بجدرانه، إلا أنه تم ترميمه على يد مهندس إيطالي بين سنتي 1890-1900م[2].

[1] عبد الحميد سناحي، قلعة أكباش بين الماضي والحاضر، دار المثقف للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)،2019، ص- ص 32-38.

[2] عبد الحق مواقي، من المساجد الأثرية بمنطقة طولقة، جريدة البصائر، ع 16، 11 نوفمبر 2020.

ب_الجامع العتيق ببرج بن عزوز: يقع في واحة من واحات الزاب الغربي على بعد أربعة كيلومترات جنوب غرب مدينة طولقة، ينتمي إلى محمد بن عزوز البرجي، يعود الجامع إلى العهد العثماني، وقد عرف ترميمات عام 1921م، وهو مسجد يغلب عليه الطراز العثماني يتخذ شكل مربع، ويحتوي على أربع شرفات متدرجة ومئذنة في الركن الغربي، بالإضافة إلى مجموعة نوافذ صغيرة، ويحتوي على أعمدة وعلى أقواس مدببة جاءت على هيئة قوسين مندمجين[1].

وقد كانت عملية البناء في منطقة الزيبان تتم وفق عمل تعاضدي على شكل تظاهرات مثل:"التويزة"، حيث يجتمع أهل المنطقة من أجل بناء منزل أو مسجد في جو حماسي يظهر صور التكافل الاجتماعي والتآزر العائلي، فنجد في واحة سيدي خالد تظاهرة تقام كل شهر ماي وتسمى بـ"التجيار"، يقوم أهلها طلاء مئذنة وقباب مسجد خالد بن سنان بالجير المحلي، وتدوم التظاهرة مدّة أربعة أسابيع، وقد أختر شهر ماي كونه شهر راحة للعمال المنشغلين بالفلاحة[2].

1-1-2-الزوايا:

أ_الزاوية العثمانية:

تقع بواحة طولقة، تتخذ شكل مستطيل حيث نجد على اليمين مسجد ثم غرفة كبيرة

[1] شلوق فتيحة، العمارة الدينية بمنطقة الزاب دراسة أثرية ومعمارية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2008، ص53.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 675.

فيها ضريح مؤسس الزاوية الشيخ علي بن عمر[1]، وتحتوي الغرفة على قمة مخروطية، بنيت الزاوية بمواد محلية تتمثل في الحجارة والطوب المجفف في الجدار، وجذوع النخيل وسعفها للسقف.

ب_الزاوية المختارية: تقع وسط مدينة أولاد جلال، أسست على يد الشيخ المختار الجيلالي، كانت على شكل مضلع غير منتظم يتجه من الشرق إلى الغرب،حيث يوجد في الجهة الشرقية مسكن من طابقين للشيخ، أما الجهة الجنوبية توجد خلوة على شكل قبو، ثم نجد ساحة كبيرة تحيط بها مجموعة من الغرف، وأروقة بأقواس نصف دائرية محمولة على أعمدة أسطوانية[2].

2-العمارة الحديثة (الفرنسية) في منطقة الزيبان:

قامت الإدارة الفرنسية بتطبيق سياسة الضغط على المدن الموجودة حيث أسست المدن الثنائية والمنفصلة عن بعضها البعض،حيث كانت المدينة الكولونيالية تسيطر على القصبة حيث تلتصق بها وتطوقها، وتحاول استقطاب جميع أنشطتها كما تحطم أجزاء كبيرة منها.

إن العمران الكولونيالي كان ذو طابع عسكري في بدايته، ثم أخذ يتطور نحو الأنشطة الاقتصادية من أجل التمكن من الوصول إلى أعماق المجتمع والتحكم فيه، واتخذ طابع

[1] **علي بن عمر:** ولد عام 1780 بطولقة، وقد اتخذت الزاوية موقفا مستقلا من الاحتلال وصراعي الأمير وأحمد باي وبن قانة وبوعكاز، توفي برصاصة طائشة سنة1842 **أنظر:** سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (بوزريعة-الجزائر)، ص - ص 9-10.

[2] شلوق فتيحة، المرجع السابق، ص- ص 61-63.

الشكل الفرنسي، حيث بقي الأهالي يسكنون القصبات القديمة أما الأحياء الأوروبية سكنها الأوروبيين من عسكريين وإداريين ومعمرين[1].

وقد تم إنجاز عدة مشاريع عمرانية خلال فترة الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان، فكانت المنشآت العمرانية الأولى من النوع العسكري تتمثل في حصن سانت جيرمان سنة 1849م، بلغ طوله خمسة عشر مترا، حيث تم استعماله كمعسكر للجيش (ثكنة)على أنقاض الحصن التركي بالقرب من منابع المياه المخصصة لسقي واحات النخيل والبساتين، وذلك من أجل إحكام السيطرة على المدينة والتحكم في السكان[2]، والحصن عبارة عن قلعة مستطيلة يمكنها استيعاب عدد كبير من السكان الأوروبيين المتواجدين بالمدينة، ويتضمن منزل القائد العلم وإقامات الضباط وخزانات للمياه ومخازن للمؤن والسلاح، وشهدت المدينة أول عملية عمرانية مخططة بالاعتماد على المخطط الشطرنجي(أنظر للملحق رقم 12)، حيث تتميز بسهولة تحديد الملكيات وتقسيمها[3].

وفي إطار استكمال تعمير المنطقة جاء مخطط دارفو سنة 1932م، وهو أول مخطط للتهيئة شامل لمدينة بسكرة يهدف إلى توسيع المدينة على كامل الجنوب، لتحويل مدينة

[1] خليفة عبد القادر، تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية (دراسة سوسيو أنثروبولجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة،2011، ص204.

[2]M.V.Largeau, Le Sahara Algérien 1874-1878, dessins i médits Biskra-Touggourt-Rhadamés-Le souf-Ouargla, p 60.

[3] إبراهيم تابعي، أثر العمارة الإحتلالية في تحول الممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية ضمن القصور العتيقة، دراسة حالة مدينة بسكرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019، ص- ص 169-170.

إلى قطب سياحي، إلا أنه لم يجسد على أرض الواقع[1].

لقد جاء النسيج الاستعماري مخالفا للنسيج المحلي، حيث تظهر المنازل بشكل مربعات متباعدة عن بعضها بشوارع واسعة تفتح إليها المساكن وعادة تكون بطابقين، وهذا الأمر كان يراد به التميز عن الأهالي حيث كانت تشبه لحد كبير المساكن الأوروبية من حيث انفتاحها على الخارج.

أما بالنسبة للمنشآت العمرانية الأخرى كانت من النوع الاقتصادي، ومن بين تلك المنشآت نجد مايلي:

2-1-السكة الحديدية: كان هذا المشروع من إنجاز البعثات الاستكشافية التي كانت الإدارة الفرنسية ترسلها نحو الجنوب للكشف عن مسالك المناطق الصحراوية مثال: خط بسكرة-تقرت حيث تم إصدار قرار بإنشاء خط حديدي يربط بين مدينة بسكرة ومدينة تقرت على مسافة مائتان وعشرة كلم، بتاريخ 4 أفريل 1910م، وتم افتتاحه في 02 ماي 1914م ليبدأ بشكل رسمي سنة 1916م[2].

2-2-السوق المغطاة: تم إنجازها سنة 1855بالجهة الغربية للساحة الكبيرة للعقيد بوتي(BOUTI) (العربي بن المهيدي حاليا)، تقدر مساحتها بألف وستمائة متر مربع، تضم عدة دكاكين محاطة بسكنات ذات طابقين، بحيث الطابق الأرضي به أقواس بداخلها دكاكين

[1] مريم مضاوي بن شيخة، دراسة ومقارنة بين كفاءة الأداء الحراري لروزنة المسكن الفردي العتيق والحديث، دراسة حالة مدينة بسكرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2019، ص 120.

[2] M.CH.Lutaud, exposé de la situation général des territoires sud de L'Algérie, 1913, typographie-Adolphe Jourdan-imprimeur-libraire-édition-plac du gouvernement, Alger, 1914, p p167-170.

صغيرة، والبعد بين عارضتي الأقواس يقدر بمترين إلى ثلاثة أمتار، وهي مهيكلة حسب النسيج العمراني الشطرنجي[1].

قامت كذلك بتعديل بعض المنشآت السياحية وبناء البعض الأخر منها:

2-3-الحمامات: وقد كان حمام الصالحين من أشهرها، حيث يعود إلى العهد الروماني يقع على مسافة سبعة كيلومتر شمال غرب مدينة بسكرة،ينبع من العين الساخنة الموجودة في سفح جبل بوغزال غرب بسكرة، وهذه المياه الساخنة تحتوي على الكبريت وكلور الصوديوم لهذا لها أهمية كبيرة في معالجة العديد من الأمراض(التهاب المفاصل،الصدفية...)[2]، حيث كان مزارا للسياح والمرضى من كل الأماكن خاصة بعد أن تم إعادة تهيئته سنة 1857 من خلال توسيع الحوض المستطيل وتنقية العمق لحماية المستحمين، مع بعض البنايات ليقيم فيها الضباط والحراس والجنود مع إسطبل للحيوانات، وهذا الترميم قامت به الشركة العامة لوادي ريغ وبسكرة سنة 1891، فقسم إلى عدد من أحواض الاستحمام فنجد في كل حجرة حوضين متلاصقين الأول بمياه حارة والأخر بمياه تم تبريدها لمدة اثني عشرة ساعة[3].

2-4-الفنادق: توجد العديد من الفنادق في منطقة الزيبان، والتي تتسع للعديد من السياح كون الموسم السياحي في المنطقة يبدأ في شهر نوفمبر وينتهي في نهاية شهر أفريل ومن بين هذه الفنادق:

---

[1] عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية، المرجع السابق، ص22.

[2]M.Dervaux, Le musée social Biskra, ville de luxe, contre de Tourisme, Etape pour la traversée du Sahara, N9, septembre, 1932, p287.

[3] Emmanuel Mallebay, Guide pratique de Biskra et de ses environs, Batna, Amand Beun libraire-éditeur, 1892, p23.

أ_نزل الصحراء: من أقدم الفنادق في مدينة بسكرة، يقابل الحديقة العمومية قرب مركز البريد والكنيسة، توجد به كل وسائل الإقامة المريحة والمرشدين السياحيين لتوجيه الزوار.

ب_نزل فيكتوريا: يقع قرب محطة القطار، ذو طراز معماري راق، رغم أن موقعه غير ملائم للراحة.

ج_نزل رويال: من أشهر الفنادق ذو هندسة معمارية راقية، يقع في طريق تقرت كان محل إقامة مريحة للأثرياء من السياح[1].

د_دار الضياف (بلاص، دار الثقافة حاليا): يعتبر أول مشروع في مجال الفنادق لشركة بسكرة ووادي ريغ، بني وفق الطراز الموريسكي، يضم أجمل القطع المماثلة لقصر أحمد باي وقصر الحمراء بغرناطة، تم تخطيطه من طرف المهندس باليفكان (BALIFKAN) تحفة عمرانية ذو طراز متميز، تم الانتهاء من بناءه سنة 1893م[2].

2-5-الحدائق: حيث سعت الإدارة الفرنسية إلى تكثيف عملية التشجير وزيادة المساحات الخضراء داخل المدينة والأماكن العمومية، حتى أصبحت مدينة بسكرة تزخر بالعديد من الحدائق منها حديقة لندن (Landon)، تم تأسيسها من طرف لاندو دو لونغ (Lando du long) سنة 1872، بعد أن اشترى من الأهالي بالغصب حوالي ثلاثة عشر هكتار من الأراضي، تضم الحديقة العديد من النباتات النادرة وأنواع مختلفة من الأشجار الاستوائية التي تتلاءم مع مناخ المنطقة وتحيط بها أسوار عالية بنيت بالحجارة الكبيرة[3].

[1] Félix Hautefort, Op-cit, p18.
[2] L'ABBE Jean Hurabielle, Op-cit, p40.
[3] Félix Hautefort, Op-cit, p55.

أما بالنسبة للمنشآت الدينية فقد تم إنشاء كنيسة تقع في وسط الحديقة العمومية أطلق عليها اسم أحد الرهبان القديس برونو (ST Bruno)، حيث قام الكاردينال لافيجري في نوفمبر 1888م بزيارتها ليمنحها بركاته، تم بناء الكنيسة وفق الطراز الكولونيالي بحيث تتميز باستخدام الأقواس فالمدخل مقوس ومحمول على أعمدة والنوافذ ذات أشكال بسيطة ومقوسة، وتوجد بها ساعة ميكانيكية صنعت بمعامل باريس، وفي الأعلى يوجد صليب[1].

بالإضافة إلى تأسيس جمعية إخوان الصحراء المسلحين سنة 1891م، من طرف الكاردينال لافيجري حيث عمد على شراء عشرون هكتار من الأراضي وحفر الآبار، وإنشاء البيوت للآباء والأخوات البيض[2]، كما عمد على إنشاء مستشفى أطلق عليه اسم "بيت الله"، وذلك بشراء حوالي ثلاثة عشر هكتار من الأراضي الواقعة في الشمال الغربي بحي المسيد، مقابل ثمن يقدر بستة ألاف فرنك فرنسي وكان نصفه دير ونصفه الثاني عبارة عن ثكنة لإيواء الفرقة[3].

كان هناك العديد من المنشآت الأخرى مثل الكازينو والمطار والمقاهي... وغيرها من المنشآت.

[1] عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية، المرجع السابق، ص 24

[2] عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)،2020، ص134.

[3] M.Bounard, le cardinal Lavigerie, T1, de Gigord librairie poussielgues, Paris, 1898, p520.

ثالثا: الفنون في منطقة الزيبان

1-الفنون الشعبية

1-1 الشعر الشعبي:

عرف هذا اللون من الأدب ازدهارا كبيرا ابتداء من منتصف القرن 18م حيث تزامن ذلك مع وصول الاحتلال إلى المنطقة، وكان هذا اللون من الأدب الملاذ الوحيد الذي لجأت إليه العامة لمواجهة ثقافة غريبة أراد المحتل أن يفرضها على المجتمع المحافظ، وهذه المرحلة تطور فيها الشعر الشعبي كثيرا من حيث الأغراض من شعر صوفي او عاطفي الى شعر وطني حماسي مقنع بدا هذا الأمر مع الشيخ يوسف والشيخ بن قيطون[1]، ثم تحول إلى شعر صريح مابين الحربين العالميتين وذلك مع كل من محمد بن عزوز وبلقاسم بن زغادة[2]. اعتمد شعراء الشعبي لغة المنطقة التي أجمع الكثير انها قريبة من الفصحى وركزوا أكثر على المدائح الدينية وعلى الشعر الصوفي والقصائد التوسلية ومدح الشيوخ والأولياء والصالحين أكثر من القصائد ذات المواضيع العامة[3].

---

[1] **بن قيطون:** محمد بن الصغير بن قيطون البوزيدي ولد في مدينة سيدي خالد عام 1844م كما رجحت الأقوال، امتهن في بداية عهده الفلاحة ثم انتقل إلى الشعر. **أنظر:** عبد القادر رحيم، "الشعر الشعبي والمقاومة في منطقة سيدي خالد الشاعر محمد بن قيطون –أنموذجا"، **محاضرات ضمن فعاليات الندوة الوطنية الشعبية والمقاومة الشعبية** بالمتحف يوم 10 ديسمبر 2012، ص 18.

[2] أمحمد حليس، محمد العربي حرز الله، منطقة سيدي خالد مقومات ثقافية وآفاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة، المرجع السابق، ص128.

[3] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص – ص 415-416.

أما عن الشعر في المواضيع العامة فقد كانت لغته بالدارجة، فهو ينقل لنا الأحداث اليومية للمجتمع ويصور لنا ما يمر به هؤلاء ، فنجد أن النساء كان لهن دور ومساهمة في هذا النوع من الشعر نعطي مثالا عن ذلك: شعر للسيدة مسعودة مهني وهي من بلدة سيدي خالد تصور لنا فيه معاناة آهل البلدة بعد أن افتكت بهم الأمراض والأوبئة خلال الاستعمار الفرنسي وفي هذه الأبيات تؤرخ لوباء افتك بالناس سنة 1919م[1]:

بناتك حاروا من الخفا باروا مشي الحصبة يا بيّ واعر ظيّلاف

سيدي خالد عندنا والخوف علاش ديت للشعبة ونملي في القربة

ونصفي في الزعلاش سيدي خالد عدنا طول مجاش

قلنا يا حسراه على زمان كنا فيه كنا في السقيف محلاه أبيبان

سيدي عدنا شكّيتوا غضبان رحنا للصّابون ابنينا قيطون

كاش من فيه خير نولوا للدشرة وسيدي خالد ياك نحّاح الكثرة

بناتك مجمولين واكّل بكايين طولت ما جيت يا مولى اللّزمية

وسيدي خالد موش غضبان عليا سيدي خالد بيّ طول مجاش

وهذي مدّه خباروا نقطعت عليّا وسيدي خالد مولا النيّة

هنا الشاعرة تستغيث بالنبي سيدي خالد كما يدعونه أهل البلدة، ليدرك بناته لان هذا المرض أو الوباء أثر بصورة رهيبة على النساء ويسمى بمرض "الطّايف".

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 30.

وفي محطة أخرى تقول الشاعرة حدة حيمر في أحد الشؤون اليومية البسيطة وهي تقوم بالدعاء على امرأة:

إيميتك جربة والقطران حد الرقبة عطاك زربة يسلط عنك مرض الدوني

يا جدي رآهم حقروني عادوا يطلعوا عنا

وداروا عروضهم في البراني يا طب المارة دارهم عن رأس الحارة

يا جدي راهم حقروني[1]

1-2- القصة والرواية:

وهي القصة أو الأقصوصة أو النادرة أو الأحجية، وقد اتخذت نوادي وأماكن خاصة بها حسب نوعية كل منها فهناك نوادي خاصة تقام في بيت احد الأعضاء ويقتصر روادها ومريديها على جماعة قليلة قد لا تتجاوز خمسة او ستة أفراد ويجتمعون ليلا حول طبق من التمر وإبريق شاي ويلتفون حول القارئ او الراوي الذي يسرد عليهم الرواية مباشرة من الكتاب على ضوء شمعة وقد تتواصل الحكاية إلى ساعة متأخرة من الليل[2].

وهناك نوادي أخرى منها:

[1] حياة بزيو، المرجع السابق، ص - ص 31-32.

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية بسيدي خالد، المرجع السابق، ص 434.

- نادي "الصّباط" وهو عبارة عن سقيفة في وسط ساحة أحد الأحياء تقام فيها تجمعات مسائية يذهب إليها النساء و الأطفال و الشباب ويجلسون في جماعات للاستماع إلى القصة الشعبية و الخرافية[1].

- نوادي المقاهي حيث يقول الرحالة ليدر انه شاهد الناس في مدينة بسكرة يبتهجون لسماع قصة يرويها لهم شخص داخل المقهى يجلس هذا الراوي المحترف فوق مكان مرتفع ويأخذ في سرد قصص مثيرة من ألف ليلة وليلة ومن قصص أبطالهم الوطنية الذين دافعو عن بلادهم وهو يتلوا ذال بالعربية الفصحى من كتاب قديم وفي بعض الأحيان يترجم لهم بالدارجة كي يفهموا[2].

- نادي السّخينة ويقام في ليالي الشتاء حول نار متأججة ومعظم المواضيع حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان رواد هذا النادي معظمهم من الطبقة الفقيرة وأوضاعهم الاجتماعية مزرية.

- المداح الشعري وهو القاص الذي يجوب الأسواق ويجمع الناس حوله في حلقات يروي لهم حكايات شعبية ذات طابع تاريخي يمجد أعمال الصحابة والفاتحين، وقد تتناول

[1] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص30.

[2] S.H, Leeder London,op-ct, p12.

قصصه أخبار المتصوفة والمرابطين ويتصف المداح انه قوي الذاكرة خفيف الروح سريع النكتة يؤثر في عواطف الناس[1].

1-3-الأحاجي والنكتة:

تزخر منطقة الزيبان بالعديد من الأحاجي والنكت فقد كان الأهالي يقضون أوقات فراغهم وهم يتبادلون الأحاجي " الألغاز" والنكتة الطريفة خاصة في ليالي الشتاء الباردة فهم يجتمعون حول النار ويبدأ كل شخص بسرد ما لديه من نكت لإضحاك البقية وإضفاء جو كوميدي خلال السهرة نذكر منها:

أ-النكتة:

_جحا قاتلو يماه احرس باب الدار حتى نولي، طولت عليه يماه وهو حاب يخرج يلعب مع صحابوا قلع الباب وداه معاه، رحت يماه ملقاتش باب دار، قاتلو يا جحا واش هذا، قالها جحا أنتي قلتيلي عس باب دار قلعتوا وهزيتوا معايا باش ميسرقوهش، وتقال هذه النكتة لجميع الفئات العمرية.

_تاتم بن تاتم، هذا لبّاس الخاتم، وهذا طويل بلا خصلة، وهذا شاهد عبد الله، وهذا دبوس القملة[2]وهذه النكتة كانت تقال للاطفال الصغار.

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية بسيدي خالد، المرجع السابق، ص ص 435-437.

[2] مقابلة شخصية، علي افرن، المرجع السابق.

وقد كانت تقال هذه النكت في مناسبات مختلفة من حفلات الختان، الأعراس، بالإضافة أنها تقام في ليال السمر والشتاء الباردة عندما تجتمع العائلة حول موقد النار وعادة ما يكون الأب هو الذي يوري هذه النكت أو كبير العائلة " الجد".

ب-الألغاز:

كانت منتشرة جدا هذه الظاهر أوساط المجتمع في تلك الفترة ولدى الفئات العمرية كلها وهناك أحاجي تقال للصغار ومنها ما هو خاص بالكبار لأنها تكون معقدة أكثر وتستوجب تفكير وحسابات ذهنية، قد كان الأفراد يتناقلونها أبا عن جد ويتداولونها في كل المناسبات وفي كل كل مكان في " في المنازل في الأسواق في الساحات العامة ... وغيرها"، نعطي مثال عن هذه الألغاز فيما يلي:

_" أربعة نفوس، خمسة روس، مئة إصبع ":(أربعة نفوس تعني: أربعة رجال أحياء، خمسة رؤوس تعني أربعة رجال حاملين الشخص الميت والخامس هو رأس الشخص الميت، مئة إصبع تعني: كل شخص لديه عشرون إصبع " أصابع اليد وأصابع القدم" وعشرون أصبع لخمسة أشخاص تساوي مئة أصبع.

_"زوج جمال راحوا للوادي واحد شرب واحد روح بغبّوا":(شخصين ذهبوا إلى القاضي، شخص عاد ومعه الحق أي الحكم لصالحه، والشخص الثاني عاد فاضي اليدين أي الحكم لم يكن لصالحه).

_"لي بعاد اقربوا، ولي وصلوا قصروا، وجماعة تفرقت، ولي في زوج عادوا في ثلاثة": (لي بعاد اقربوا: العين نقصت رؤيتها، ولي وصلوا قصروا: الأذن نقص سمعها، جماعة تفرقت: الأسنان سقطت وتفارقت، لي زوج عادوا ثلاثة: الأقدام تعبت فأضيفت لها " العكازة" ليستند عليها)[1].

-4-الموسيقى:

الموسيقى في الزيبان أصيلة ومتنوعة، ترجع أصالتها الى كونها مستوحاة من التراث المشترك الذي أنتجته العبقرية الشعبية، وتمتد جذور هذا التراث الى عهود قديمة، فهي موسيقى متنوعة لاختلاف مناطقها وبيئاتها من جهة وللتأثيرات الخارجية من جهة أخرى، وكان لاتساع الرقعة الجغرافية للزيبان إثر على الموسيقى فقد جعلها متنوعة النغمات والأداء والأسماء، والموسيقى ارتبطت بالشعر والرقص وغيرها من الفنون.

بعد الاحتلال الفرنسي للزيبان لم يكن هناك اهتمام كبير بهذا الجانب كما وقع اهتمامه بمجال اللهجات والمخطوطات والمعالم الأثرية وغيرها، حيث لا نكاد نجد دراسات وصفية عميقة لتطور هذه الموسيقى وعلاقتها بحياة الناس اليومية في حين كان لها علاقة وطيدة بها حيث ان كل من يؤرخ لهذه الأنشطة الإنسانية يلاحظ انها تمثل روح الشعب[2].

والطبوع الشائعة في المنطقة و التي تميزت بها عبارة عن الحان صحراوية متنوعة ومن أشهرها العربي وله أربعة عشرة لحنا، والعابدي والسعداوي والترحاب الذي يشترك فيه أهل

[1] مقابلة شخصية، علي افرن، المرجع السابق.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص430.

المنطقة مع الشاوية وخاصة مع أهل الاوراس" خنشلة وباتنة وأعراش الحراكتة من منطقة ام البواقي"[1].

أيضا هناك موسيقى متطورة في مدينة بسكرة تعرف محليا ب" الدردبة والبنقة" مع تفخيم حرف القاف وهي لها مهرجان خاص، حيث يقول الرحالة أندري جيد: انه حضر إحدى حفلات هذه الموسيقى" البنقة" فنقل مشاهداته في نص:" تثيرنا الموسيقى الزنجية! وأصوات الطبل الزنجي! سمعناها أكثر من مرة في العام الماضي! وأكثر من مرة استيقظت لأتابعها! ليست هناك نبرات فقط الإيقاع لا وجود لآلات نغمية، لا شيء غير آلات الدف، الطبول طويلة والطمطم والأجراس"[2]، "ثلاثتهم يعزفون قطعا إيقاعية خفيفة وإيقاع فردي ... هؤلاء هم العازفون في المناسبات المأتمية والاحتفالية والدينية"[3].

[1]أمحمد حليس، محمد العربي حرز الله، منطقة سيدي خالد مقومات ثقافية وآفاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة، المرجع السابق، ص134.

[2] المرجع نفسه، ص134.

[3] أندري جيد، رحلة الى شمال إفريقيا، تر: محمود عب الغني، دار توبقال للنشر،(د، ب، ن)، 2012، ص 24.

أما عن الآلات الموسيقية فهي عديدة نذكرها كالآتي: القصبة، الدف(البندير)[1]، الغيطة، الجواق (أربعة ثقب)، الرباب(الكامنجة)، الطبل، الدربوكة، الناي، العود.

صورة لمجموعة من الالات الموسيقية. (طبل، دربوكة، قرقابو)

المصدر: وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص45.

صورة لشخص يعزف على الة القصبة.

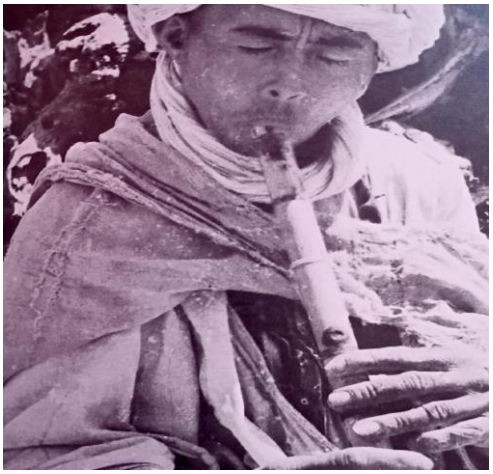

المصدر: Rivére Thérése, op-cit, p100 .

وهناك أيضا" الزغاريد" فهي تعتبر من النغمات الموسيقة[2].

ونجد ان خلال فترة الاحتلال الفرنسي تأسست حوالي تسعة فرق موسيقية في مدينة بسكرة وحدها وذلك ابتداء من 1880م الى سنة 1961م[3]، فيقول الرحالة ليدر انه وأثناء تجوله في مدينة بسكرة شاهد في سوقها فرقة موسيقية واستمع الى شخص يعزف للناس

[1] وزارة الثقافة، بسكرة أسوار من حضارة، المرجع السابق، ص61.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص444.

[3] عبد الحليم صيد، شمس بسكرة تسطع على الثقافة الجزائرية، المرجع السابق، ص20.

وبصحبته مطرب أعمي يغني وقد اجتمع الناس حوله على شكل حلقة وهم جالسين على الأرض ومن وقت لآخر يضعون بعض الدريهمات في يده[1]، ومن الفرق الموسيقية الشعبية التي لا تزال لحد الآن وهي مشهورة: فرقة الزرنة ، فرقة الرحابة، وهي فرق موسيقية تستدعى في الحفلات والأعراس.

في سنة 1859م وصف احد الرحالة الأجانب مقاهي بسكرة بأنها مقاصف للموسيقى والرقص النسائي وقال أن المغنين كانوا في حضور دائم[2]، كما يصف الأب جون هيرابيال هو أيضا المقاهي العربية بمدينة بسكرة "أنها فيها مظاهر غريبة ومنها رقصات أولاد نائل والأصوات المزعجة المنبعثة من الآلات الموسيقية ويقول " فينتج عن ذلك ضيق في الصدر وآلام في الرأس، في حين وجدت مقهى يهودي يسمع الداخل إليه عزف الكمان وأغاني تؤديها مطربة يهودية، وكل العاملين بهذا المقهى يهود"[3].

وتتميز الموسيقى بمنطقة الزيبان بالغناء المرافق بأشعار لا تكاد تخرج عن الغراميات و الدين فهو إما غناء غرامي أو مدائح أو توسلات دينية.

كما كانت هناك دراسة للموسيقى في منطقة الزيبان بما فيها القنطرة، سيدي عقبة، طولقة، من طرف مستشرق مجري اسمه بلاباتورك واستخرج حوالي خمسة وستون نغما ميلوديا[4].

---

[1] S.H, Leeder, op-cit,p 9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص 445.

[3] Emmanuel Mallebay ,op-cit, p 44.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص 432.

1-5- الرقص:

وهو فن مستقل أيضا لا يقتصر على النساء فقط بل يخص الجنسين، كل منهما بطبوعه وتلويناته الخاصة، ويتم الرقص على أنغام الآلات الموسيقية مهما كانت بسيطة ولو

صورة توضّح راقصات يرقصن في حفل زواج.

المصدر: Rivére Thérése, op-cit, p104

بالتصفيق وضرب اليدين[1].

في الحفلات نجد أن المرأة كانت تلعب دور المنشط من خلال الرقص والزغاريد فكانت ترقص وحدها أو قد ترافقها زميلة أو أكثر، ويضل وجهها مغطى بوشاح[2] شفاف ورقص المرأة لا يكون إلا في المناسبات كالزواج والختان وغيرها.

[1] أمحمد حليس، محمد العربي حرز الله، منطقة سيدي خالد مقومات ثقافية وآفاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة، المرجع السابق، ص135.

[2] **الوشاح:** هو من الحرير مطرز بخيوط ذهبية وإكليل، كانت تلبسه النايليات، **انظر** Félix Hautfort, op, cit, p39. .

وهناك أمداح خاصة تقيمها النساء للنساء في غياب الرجال تدوم ساعات وترقص فيها النسوة طويلا على أنغام الدف والطبل وبعض الآلات الأخرى.

صورة لنساء يرقصن "رقصة الترحاب".

المصدر: Rivére Thérése, op-cit,p97

أما أثناء الحفلات العمومية المكشوفة والتي يمكن ان يحضرها الرجال فان النساء يرقصن فيها وهذا بعد ان تتقدم فتيات صغيرات الى الميدان مغطاة الوجوه ومحتشمات، ويبدأن الرقص بالمناديل الحريرية في حركات بطيئة، وعندما تنشط الموسيقى تسرّع الحركات تبدأ النسوة بالدخول إلى الحلبة والرقص ثم تتشجع أخريات ويدخلن الحلبة، وتصخب الموسيقى وتسرّع حركة الرقص مع أصوات الغيطة والقصبة وزغاريد المشجعات وطلقات البارود المتقطعة، وكلما انسحبت بعض النسوة من الحلبة تتقدم أخريات إليها وهكذا، الى ان ينتهي الحفل وأحيانا يتقدم احد الرجال ويطلق البارود عند رأس راقصة تعبيرا عن الحب والإعجاب[1].

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص 446.

يقول "أندري جيد" انه رأى في أحد الأماكن بمدينة ببسكرة وهو في الليل نساء ترقصن ومنهن العربيات واليهوديات حسب ما قال له دليله في الرحلة ان أكثرهن من اليهوديات، وان من يرقصن هنا مسكونات بالجن فالحفلة تدعى" برقص الساحرات"، ووصف المشهد بان هناك مشعوذة كبيرة في السن تسير حفلة الرقص وأمام نافورة من المياه والنساء تتراقصن على أنغام الموسيقى والمكان مزدحم بالرجال والأطفال فلا يكاد يكون هناك مكان تقف فيه، وهذه الحفلة غرضها أن تشفى هذه النساء من الجن وتخرج منهم الشياطين[1].

ولما جاءت النايليات إلى المنطقة اشتهرن بالرقص فقد عملن راقصات فيقول الرحالة الأجانب أنهم رأوا النساء النايليات راقصات، فهن طردهن آبائهن فعملن في هذا المجال لكسب قوت عيشهن، وكن يحيين حفلات رقص للأجانب في المقاهي و يحتفلن من مكان إلى مكان دون حياء[2] ، وفي هذا الصدد يقول الرحالة "موكادور" انه لا يمكن أن تغادر بسكرة دون مشاهدة النايليات يرقصن، إنهن العالمات أو راقصات الصحراء الهنديات تنتمين إلى قبيلة أولاد نايل"[3]، وقد انتشر خلال هذه الفترة نوع من الرقص يدعى "رقص هز البطن"[4] حيث الصق هذا النوع ببعض النساء النايليات.

واشتهر رقص النايليات بحركاته منها حركات اليدين التي تمثل حسب البعض أجنحة

[1] أندري جيد، المرجع السابق، ص25.

[2] Félix Hautefort, Op-cit, p p 127-131.

[3] جيل لولكيرك، المرجع السابق، ص 221.

[4] **رقص هز البطن:** هو رقص لإغراء الشباب والسواح الذين يرون في ذلك نمط حياة الغرب والشرق. **أنظر**: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج5، المرجع السابق، ص 440.

النسر كما ان حركات الرجلين عندهن فيها رشاقة ملحوظة[1].

أما رقص الرجال الذي كان في بعض الأحيان فقط وليس دائما تختلف طريقته عن رقص النساء فكانت فرقة من الرجال تقف في صفين متقابلين وتبدأ بحركات محددة ثم تتقارب الصفوف ثم تنفصل لكي يرقص كل صف وحده وهكذا وهو ما يعرف بـ"الرحابة"، وهناك من الرجال من يرقص بالمقاهي في المدن فرادى او رجلين معا وأحيانا حتى مع امرأة[2].

2- فنون أخرى

2-1-المسرح:

تعتبر الزيبان إحدى معاقل الحركة المسرحية بالجزائر قبيل الاستقلال على غرار الحركة الإصلاحية والكشفية والصحفية والرياضية، إذ انه يوجد اختلاف وتباين في تحديد السنة التي ظهر فيها المسرح بدقة عدا الإجماع على انه ظهر خلال عشرينيات القرن الماضي.

2-1-1عوامل ظهور الحركة المسرحية بالزيبان:

إرهاصات وظروف ظهور الحركة المسرحية بالزيبان تأكد لنا أنها ارتبطت بمجموعة من العوامل التي أسهمت في بروز هذا الفن من أبرزها:

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج 5، المرجع السابق، ص - ص 440-447.

[2] مقابلة شخصية، علي أفرن، المرجع السابق.

عودة الشيخ الطيب العقبي من بلاد الحجاز واستقراره بمدينة بسكرة 4 مارس 1920م والذي شرع في نشر أفكاره الإصلاحية [1] وأيضا تشجيعه على ظهور حركة مسرحية تكون بمثابة لسان حال هذا الشعب المقهور ومواجهة الأفكار القديمة والتصدي لإدارة الاحتلال، حيث اتصل بمجموعة من الشباب الوطنين المتحمسين لحثهم على تأسيس فرق مسرحية[2] والتي توجت بتأسيس أول جمعية وهي "جمعية المستقبل الفني عام 1926" كأول جمعية مسرحية[3].

- زيارة الأمير خالد لمدينة بسكرة عام 1922م واتصاله بالعديد من المناضلين السياسيين وألقى خطابا ركز على ضرورة إنشاء مسرح يخدم القضية الجزائرية ويكون لسان حال الشعب والتعبير عن ذاته وكيانه.

- ظهور الصحافة الوطنية ببسكرة ممثلة أساسا بجريدة صدى الصحراء أيضا جريدة الحق وجريدة الإصلاح وغيرها من الجرائد سواء باللغة العربية أو الفرنسية، كجريدة تاغنانت وضربة بالخيزران[4].

[1] أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،(د، س، ن)، ص 104.

[2] فوزي مصمودي، "أضواء على تاريخ الحركة المسرحية ببسكرة من 1926-1954"، **الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ)**، 2013، ص 138.

[3] عبد الحليم صيد، شمس بسكرة تسطع على الثقافة الجزائرية، المرجع السابق، ص 23.

[4] فوزي مصمودي، أضواء على تاريخ الحركة المسرحية ببسكرة من 1926-1954، المرجع السابق، ص 138.

- ازدهار المسرح الفرنسي حيث احتضنت عدة قاعات ببسكرة خاصة الكازينو البلدي عروضا لفرق مسرحية من خارج المدينة وهذا في إطار سياسة نشر الاحتلال ونشر الثقافة المسرحية في أوساط المستوطنين وبناء مسارح[1]، حيث يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في حديثه عن الاحتلال: "قيل عن الفرنسيين ان المسرح يسير معهم أينما ذهبوا فهم يحبون المسرح بمختلف أنواعه ويعتبرونه لازمة من لازمات حياتهم الاجتماعية ...في كل مدينة احتلها الفرنسيين نصبوا خشبات مسرح ومثلوا عليها "، ويقول "لقد أنشأ الفرنسيون مسرحا كان يحمل اسم المسرح البلدي عادة وقد أنشئوا ذلك في كل مدينة تقريبا"[2].

2-1-2-الفرق المسرحية بمنطقة الزيبان:

في العهد الاستعماري ظهرت في بسكرة خمس فرق مسرحية خلال فترات متوالية، و أولى هذه الفرق "**فرقة المستقبل الفني**" تأسست سنة 1929م على يد خليفة احمد بن علي ومن أشهر المسرحيات التي قدمتها" "في سبيل التاج"، مسرحية "هارون الرشيد"، الفرقة الثانية أنشاها أشباح المكي سنة 1936م باسم "**الشباب العقبي**"، الفرقة الثالثة أسسها حساني الحاج بن الجيلالي سنة 1938م تحت اسم "**فرقة الحياة**"قدمت مسرحية " بلال بن رباح"، والفرقة الرابعة ظهرت سنة 1946م تحت اسم" **فرقة الاتحاد**" ومؤسسها العاشوري محمد البشير ومن

[1] فوزي مصمودي، أضواء على تاريخ الحركة المسرحية ببسكرة من 1926-1954، المرجع السابق، ص- ص 138-139.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954م، ج5، المرجع السابق، ص _ ص 410-412.

أشهر مسرحياتها" في سبيل التاج" ، والفرقة الخامسة تحت **اسم " الأمل"** أنشاها عمري محمد بلميهوب سنة 1951م[1].

2-1-3 أهداف تأسيس الفرق المسرحية بالزيبان ودورها الاجتماعي:

لقد جعل مؤسسو هذه الجمعيات والفرق المسرحية نصب أعينهم أهدافا وغايات واعدة بغية الوصول إليها نذكر:

توعية المجتمع البسكري من خلال نصوص مسرحية وإسكاتشات " نكت" مستوحاة من الواقع اليومي ومن التراث العربي الإسلامي، حيث اغلب أعمالهم المسرحية ظاهرها مسل وباطنها يحمل أفكارً تنويرية ومبادئ ثورية، باستعمال العامية بالخصوص حتى تكون في متناول الجميع، مراعية درجة استيعابهم حيث عبر عنها الفنان المسرحي علالو[2]" أنها اللغة الدارجة المفهومة من الجميع .... لغة الشارع والسوق والمقهى"، فيقول السيد محمد ختاني" إن المسرح خلال الفترة الاستعمارية عبارة عن وسيلة للتبليغ والتربية، لان المسرح يأخذ بلب الإنسان ويسيطر على كيانه وهو وسيلة عظيمة" وأشار أيضا انه من خلاله كانت تلعب روايات قصيرة لها أبعاد في تربية الأولاد والعائلة، وتنقل أحداث من الواقع والمجتمع المعاش،

[1] عبد الحليم صيد، شمس بسكرة تسطع على الثقافة الجزائرية، المرجع السابق، ص 23.

[2] **علالو**: (1902-1992) يعتبر سلالي علي المدعو علالو الأب المؤسس للمسرح الجزائري فقد كان أول من خاطب جمهور المسرح بالدارجة العاصمية وقد كتب جحا (1926)، زواج بوعقلين (1926)، النائم اليقظان (1927)،حلاق غرناطة (1931)، كما جمع مذكراته في كتاب اسماه "شروق المسرح الجزائري" . **انظر:** أحمد حمومي، التراث الشعبي والمسرح الجزائري، **مجلة إنسانيات**، 21-26 ديسمبر 2000.

مثال ذلك انه في تلك الفترة كانت توجد ظاهرة وهي إقبال الشباب على الزواج بالأجنبيات فقام قادة المسرح بكتابة مسرحيات بشأنها تحسيس الناس وتوعيتهم بخصوص ذلك ومعالجة المجتمع من هذه الظاهرة، وفي مثال آخر وهي قضية تحديد النسل كان يجب تبليغها فتم إلقائها عن طريق المسرح[1].

- اعتماد اللغة العربية الفصحى في بعض العروض المسرحية من اجل المحافظة على اللغة العربية الأم ونشرها في ظل انحصار التعليم العربي واقتصاره على عدد محدود من الزوايا.

- التصدي للشعوذة والأفكار السالبة التي كرّستها إدارة الاحتلال ونفذتها أيادي جزائرية.

- الاستلهام من التاريخ الوطني والتراث العربي الإسلامي نصوصا والافتخار بما قام به الأسلاف من بطولات عسكرية وأمجاد حضارية.

- الإسهام في تطوير العمل السياسي والنضال الثقافي وأداء الحركة الوطنية الإصلاحية كوقوف جمعية المستقبل الفني الى جانب الدكتور سعدان في الانتخابات المحلية للفوز بمقعد ضمن مجلس بسكرة[2] .

[1] محمد ختاني، شهادات حية حول تاريخ المسرح بسكرة، **المجلة الخلدونية** ع 05، (بسكرة–الجزائر)، ص– ص127–128.

[2] فوزي مصمودي، أضواء على تاريخ الحركة المسرحية ببسكرة من 1926–1954، المرجع السابق، ص– ص 140–141.

2-2-السينما:

ظهرت السينما في أواخر القرن الماضي ووصل نشاط المخرجين الفرنسيين الى الجزائر واخذوا يصورون فيها الأفلام القصيرة والوثائقية ونحوها وقد ركزوا جل اهتمامهم على المناظر الطبيعية، بالإضافة الى ألعاب الفروسية وحفلات الزواج التقليدية في المدن و الأرياف لا سيما ببوسعادة و بسكرة[1].

ورغم ما اخذ للمنطقة من أفلام وثائقية من طرف الفرنسيين لكن لم نجد أي معلومة حول ما إذا تأثر أهل المنطقة بهذه الظاهرة أو إن كان لهم دور في هذه الحركة السينمائية، فهناك ندرة عملية حول هذا الجانب.

وكما يبدو أن فرنسا استغلت الوسيلة الإعلامية والسينما للسيطرة على عقول السكان وهذا ما تحدث حوله أبو القاسم سعد الله" ان نتائج هذه السينما التأثير على بعض الفئات الاجتماعية، وربما شعر بعض المشردين السياسيين أن الصورة التي رسمها الاستعمار لهم هي صورتهم الحقيقة فحسب قوله رأى البعض أن يعيشوا كالفرنسيين(الاندماج) حتى تزول عنهم الصورة المشوهة[2]، لكن هذا لم يمنع أهالي الزيبان من الإطلاع على هذا الفن إذ يقول محمد العربي حرز الله في كتابه الظاهرة الثقافية بسيدي خالد أن البلدة وصلتها السينما نهاية

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، ج5، المرجع السابق، ص 302.

[2] المرجع نفسه، ص 303.

الأربعينيات وفيما بعد تم إنشاء أول قاعدة للعرض بالبلدة بداية الخمسينيات على يد الحاج حسين الغربي وهذا ما يدل على أن بلدة سيدي خالد واكبت التطور الثقافي[1].

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 279.

خاتمـــــة

بعد هذه الدراسة لموضوع الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال الاحتلال بداية من سنة 1844 إلى غاية سنة 1954م يمكن استخلاص جملة من النتائج المتوصل إليها وهي كما يلي:

كانت منطقة الزيبان متميزة في مقاومتها للاحتلال، حيث لم تمنع سياسة فرنسا في استدراج العائلات النافذة إلى جانبها في بروز زعامات المقاومة في المنطقة أمثال أحمد بوزيان وعبد الحفيظ الخنقي، والصادق بالحاج.

نؤكد أن رحلات وبعثات المستكشفين والجغرافيين الغربيين نحو الصحراء الجزائرية عامة ومنطقة الزيبان خاصة لها أبعادا استعمارية ودينية خفية، إلا أنها أمدتنا بالكثير من المعلومات والحقائق عن هذه المناطق، تتضمن الأحوال المعيشية والفئات الاجتماعية والظروف المناخية والعادات والقيم الأخلاقية، بالإضافة إلى الأسواق التجارية وكل ما هو متعلق بالحياة اليومية.

يعد تقرير (Au Pays des Palmes Biskra) للرحالة الفرنسي "فيليكس هوتفورد" من أهم المصادر الرئيسة التي قدمت معلومات قيمة حول تاريخ وجغرافية وعادات المنطقة، رغم ما شابه من نقائص حيث نلمس فيه نوع من الوصف المباشر فمعظم جزئيات التقرير تبرز مظهر الرحالة الذي يلاحظ رأي العين دون تحليل أو بحث عن دوافع لتلك الظواهر التي يراها.

لقد تركت البيئة الطبيعية لمنطقة الزيبان أثرها على حياة سكانها، فهي التي حددت معالم الحياة الاقتصادية، حيث فضل الفرد الزيباني حياة الترحال لرّعي في الأماكن الملائمة والقيام بالنشاطات الزراعية الموسمية لجلب قوت يومه وتوفير المواد الأولية للحرف التي كانت تقليدية يدوية، رغم بساطتها إلا أنها تستوفي الشروط الحضارية في تلك الفترة، وذلك بالاعتماد على الإمكانيات المتاحة لتأمين مستلزماته الضرورية في تسير حياته اليومية، أما بالنسبة للتجارة فكانت مرتبطة بما يزرعه الفلاح لتصريف منتوجاته الزراعية وما يصنعه الحرفي لبيع بضاعته.

لعبت الخصائص الطبيعية لمنطقة الزيبان دورا هاما في وجود مجتمع محلي استمر في الحياة التقليدية التي تتميز بالبساطة، وحصرت تفكير عامة الناس في توفير الضروريات الغذائية والألبسة الأساسية، وعند الضرورة يسعى لعلاج نفسه بالأساليب التقليدية هذا ما جعله يدير شؤونه بصفة شخصية لمواجهة الحياة الصحراوية القاسية، من خلال التضامن فيما بينهم وذلك بتبسيط إجراءات الزواج وإشراك المرأة في التنمية الاقتصادية، والسعي إلى استدراك النقائص التي عجزت عنها العائلات بسن أنظمة التعاون في أسمى معانيها، والتي بدورها تعكس على حياتهم في المواسم والفصول والأعياد الشعبية، وبحيث تتقاطع معها مظاهر اتخذت من التسلية والترفيه عناصر ضرورية لنسيان قساوة حياتهم.

عرفت منطقة الزيبان مظاهر ثقافية وفنية مختلفة ساهمت في إثراء الحياة الثقافية للمنطقة، وتجلى ذلك في اهتمام سكانها ببناء المساجد على الطريقة التقليدية وإرفاقها

بمدارس قرآنية بحيث يتسنى للأولياء إرسال أطفالهم للتعلم رغم بساطته، وهذا ما يدل على مدى اهتمام سكان المنطقة بالعلم خاصة أن المؤسسات التعليمية في تلك الفترة لم تكن في متناول الجميع، بالإضافة إلى تنوع الفنون التي ساهمت في تكوين ثقافة محلية خاصة ميزته عن غيره من المجتمعات.

قائمة الملاحق

ملحق رقم: (01)

خريطة لمنطقة الزيبان.

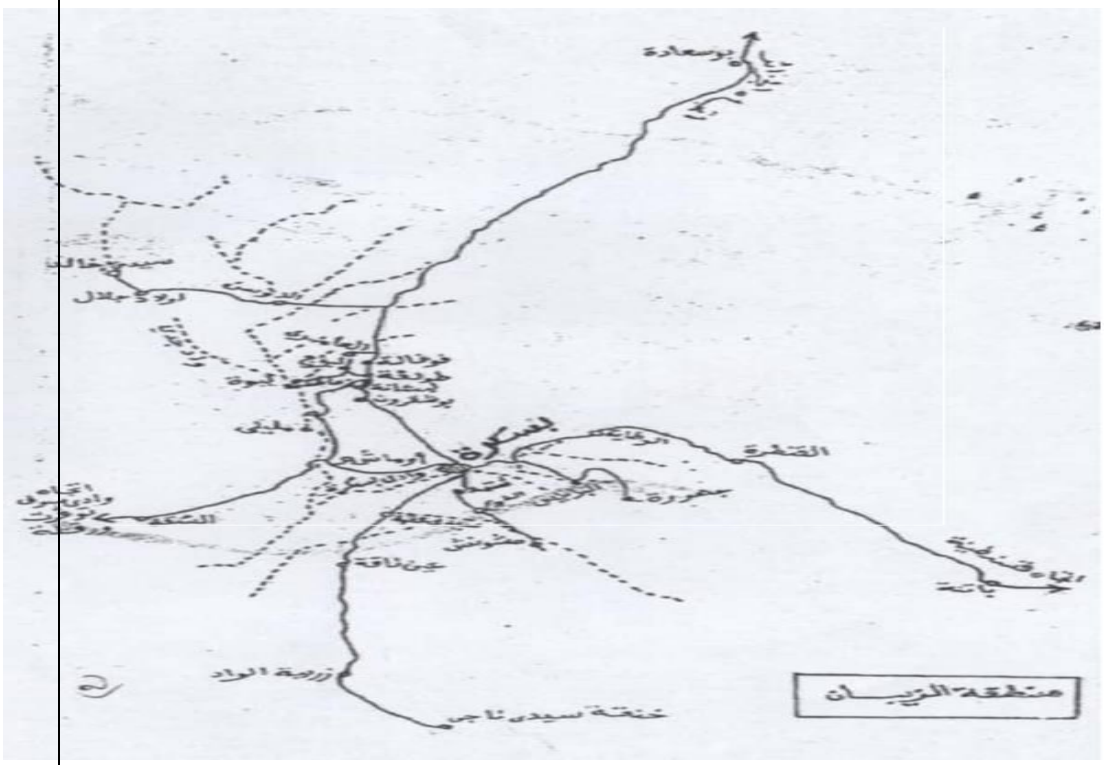

المصدر: عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1849م- 1859م)، ص 166.

ملحق رقم: (02)

رسم يبين " آلة الخطّارة" التي يستخرج بها الماء

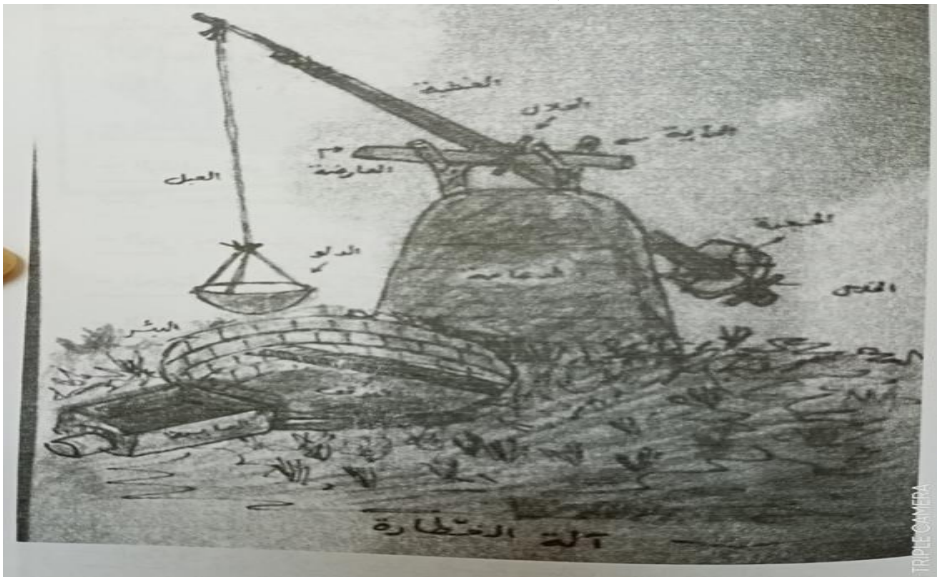

المصدر: محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 333.

ملحق رقم: (03)

صورة توضح الزراعة بالطريقة التقليدية

المصدر: Rivére thérèse, op-cit, p34.

ملحق رقم: (04)

صورة توضح حرفة "الحدادة"

المصدر: Rivére thérèse, op-cit, p113.

ملحق رقم: (05)

صورة توضح الأعمال المنزلية للمرأة

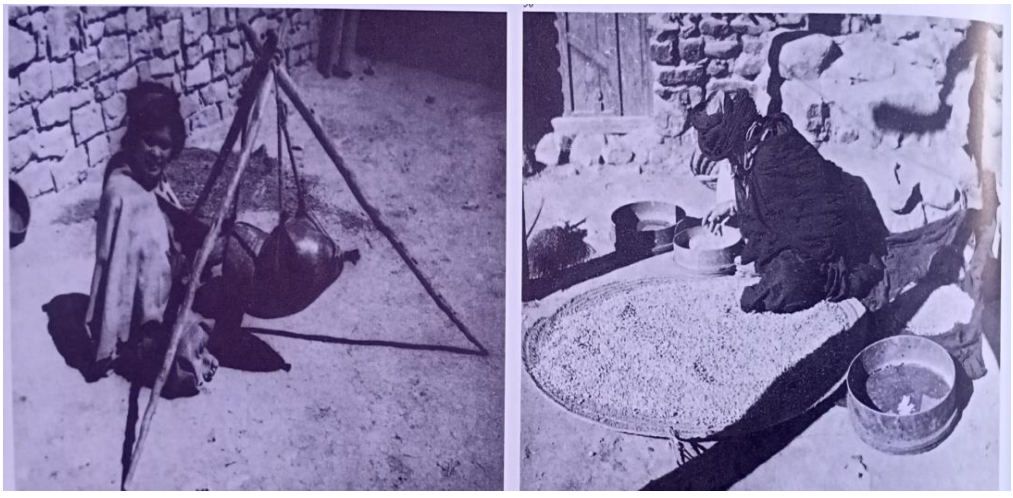

المصدر: Rivére thérèse, op-cit, p56.

ملحق رقم: (06)

صورة لموكب عروس في إحدى نواحي منطقة الزيبان.

المصدر: Rivére thérèse, op-cit, p99.

ملحق رقم: (07)

صورة لعرس في مدينة بسكرة "ركابية العروس"

المصدر: عبد القادر بومعزة، المرجع السابق، ص82.

ملحق رقم(8)

صورة توضح تظاهرة سباق الخيل"مهرجان الفروسية".

المصدر: (Agence Rol), source gallika.bnf/bibliothéque nationle de France. :(photograpie de press) ,31-3-13,Courses(de chevaux)à biskra(vuede la courseà)

ملحق رقم: (09)

صورة توضح الطبخ على الطريقة التقليدية

لمصدر :.Rivére thérèse, op-cit, p57

ملحق رقم: (10)

صورة توضح لباس تقليدي للرجل " البرنوس"

المصدر: Rivére thérèse, op-cit, p18.

الملحق(11)

صورة توضح لباس رجالي "سروال عربي"، "الطربوش"

المصدر: عبد القادر بومعزة، المرجع السابق، 82

ملحق: رقم (12)

صورة لمخطط يظهر التقسيم الشطرنجي للنسيج الكولنيالي.

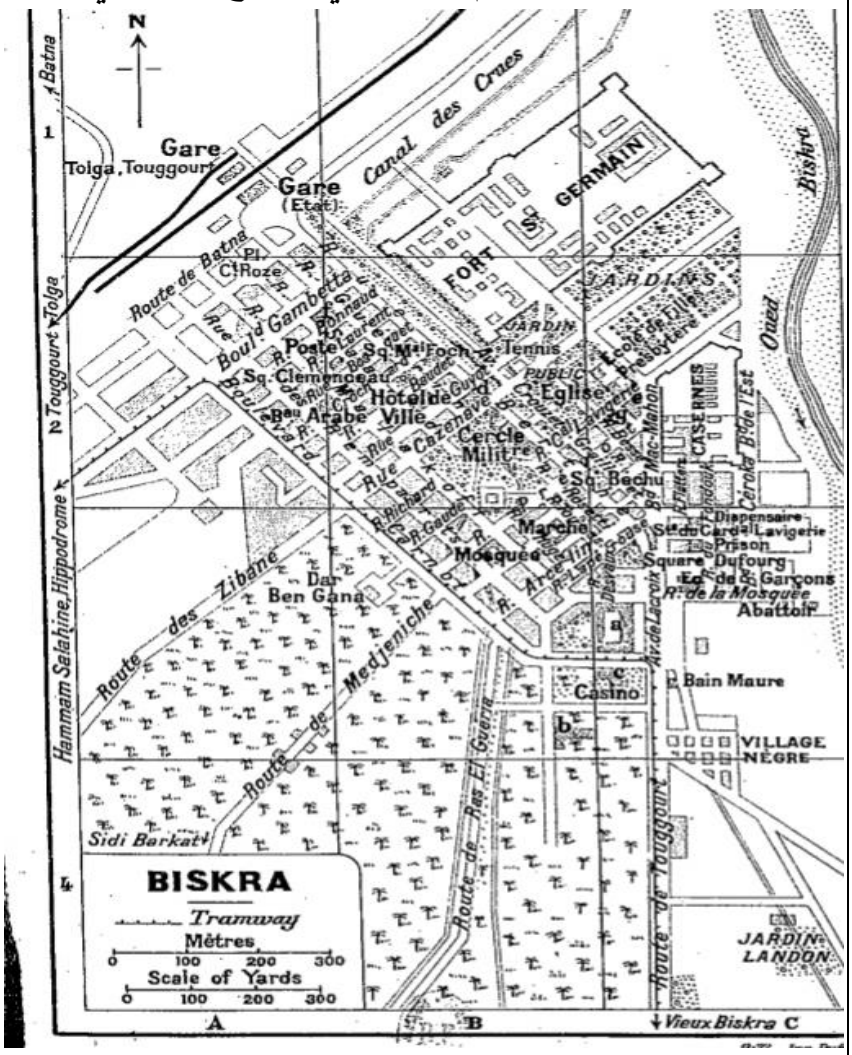

المصدر: Marcel Mommarché, op-cit, p50.

قائمة

المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية.

1- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د ط، (د . د . ن)، (الجزائر)، (د . س . ن).

2- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون، مج 05، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

3- حمدان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي زبيري، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2005م.

4- صالح العنتري، تاريخ قسنطينة فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستلاءهم على أوطانها، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر،2009م.

5- فرحات عباس، ليل الاستعمار حرب الجزائر وثورتها، تر: أبو بكر رحال وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م.

6- محمد بن الأمير عبد القادر الحسيني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م.

7- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ط2، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

ثانيا: قائمة المراجع باللغة العربية.

1- إبراهيم زكي خورشيد، دار المعارف الإسلامية، مج 13م.

2- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2009م.

3-//، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر، الجزائر، 2009 م.

4-//، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م.

5- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة (تأملات وأفكار)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.

6- //، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

7- //، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

8- //، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج5، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1998م.

9- //، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

10- عبد الحميد ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، التربية والتعليم، الخطب والرحلات، ج4، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م.

11-أحمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، العربية للطباعة والنشر، الجزائر، 1984م.

12- أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى للطباعة، الجزائر،2012م.

13-أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. س.ن).

14- أحميدة عميراوي، جوانب من السياسة وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، دار البعث، (د.س.ن)، (د.ب.ن).

15- //، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للطبع والنشر، ميلة، 2004م.

16- //، زاوية سليم، قاصرية محمد السعيد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، (عين مليلة - الجزائر)،2009م.

17- //، محاضرات في تاريخ الجزائر، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999م.

18- //، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، (د.ن.س).

19- أديب حرب، التاريخ العسكري الإداري للأمير عبد القادر، ج1، دار الرائد للكتاب، بيروت، 1990م.

20- أمحمد حليس، محمد العربي حرز الله مقومات ثقافية و آفاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة، دط، منشورات الرياضي، (د.ب.ن)،2009.

21-أندري جيد، رحلة الى شمال إفريقيا، تر: محمود عبد الغني، دار توبقال للنشر، (د، ب، ن)، 2012م.

22- أيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

23- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من م1830إلى 1989م، ج1، دار المعرفة للنشر، (باب الوادي- الجزائر)، (د.س.ن).

24- بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة (1830-1848)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

25- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر،2001م.

26- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1999م.

27- الجمعية الناصرية، في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602-2002، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)،2002م.

28- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، (بن عكنون – الجزائر)، (د.س.ن).

29- جيل لوكريك، من موكادور إلى بسكرة (رحلات داخل المغرب والجزائر)، تر: بوشعيب الساوي، مراجعة: الطاهر لكنيزي، منشورات الجمل، بيروت،2016م.

30- حياة بزيو، المرأة والشعر في سيدي خالد، دار أجنحة للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)، 2017م.

31- رابح لونيسي، العربي التبسي الفقيه الثائر، دار المعرفة، الجزائر، (د.س.ن).

32- سجل صالح باي للأوقاف 1771م-1792م، تح: فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

33- سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (بوزريعة-الجزائر)، (د.س.ن).

34- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق للنشر والتوزيع، بيروت، (د.س.ن).

35- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، وزارة الثقافة، الجزائر،(د.س.ن).

36- عباس كحول، قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844- 1859م، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، (بسكرة - الجزائر)، 2015.

37- عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، مطبعة سوف (الوادي-الجزائر)، 2000م.

38- عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844-1962، (د.ب.ن)،2004م.

39- عبد الحميد سناحي، قلعة أكباش بين الماضي والحاضر، دار المثقف للنشر والتوزيع، (د، ب، ن)،2019م.

40- عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دط، دار ابن زيد للطباعة والنشر(بسكرة-الجزائر)، (د، س، ن).

41- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010م.

42- عبد القادر نايلي، المقاومات والإنتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية (إنتفاظة الزعاطشة نموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (عين مليلة - الجزائر)، 2013م.

43- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920م - 1954م، دار طليطلة للنشر، الجزائر، 2013م.

44- عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، ج1، دط، دار الحكمة، الجزائر، 1999م.

45- عثماني مسعود، الأوراس الكرامة وأمجاد وأنجاد، دار الهدى، (عين المليلة- الجزائر)، 2008م.

46- عثماني مسعود، الأوراس مهد الثورة، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2008م.

47- العربي المنور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006م.

48- فريح لخميسي، العقيد سي الحواس مسيرة قائد الولاية السادسة (1923م . 1959م)، دار جسور للنشر والتوزيع، (المحمدية، الجزائر)، (د . س . ن).

49- فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية " الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (عين مليلة، الجزائر)، (د . س . ن).

50- //، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري1514م-1575م، شخصيته ومواقفه وآثاره، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2008.

51- كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، (بسكرة- الجزائر)،2013م.

52- لزهر غالم، مقتطفات من التراث الشفهي بمنطقة جمورة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، (بسكرة- الجزائر)،2016م.

53- مازني صلاح حامد، مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية1931-1939م، دار عالم الأفكار للنشر والتوزيع، 2015.

54- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.س.ن).

55- محمد الصالح لونيسي، الأوراس تاريخ وثقافة، دار الطباعة العصرية، (برج الكيفان- الجزائر)،2007م.

56- محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م- 1904م دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر،2009م.

57- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972م.

58- //، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1973م.

59- //، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2015م.

60- محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2005م.

61- معوشي آمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي(1830-1870)، دار الإنشاء للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س.ن).

62-مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830م- 1962م، وزارة الثقافة ، الجزائر ، (د . س. ن).

63- مولاي بالخميسي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

64- الهادي درواز، من تراث الولاية السادسة، دار هومة للنشر، (بوزريعة - الجزائر)، 2009م.

65- وزارة الثقافة، بسكرة " أسوار من حضارة"، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، س، ن).

66- يحي بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س.ن).

67- //، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته وجهاده، ابن خلدون للنشر، (تلمسان- الجزائر)، 2002م.

68- //، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999م.

69- //، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.

70- //، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1985م.

71- //، موضوعات في قضايا الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م.

72- يعقوب عبد العالي، أوماش عراقة وأصالة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، (بسكرة-الجزائر)،2012م.

ثالثا: قائمة الرسائل والاطروحات الجامعية:

1- إبراهيم تابعي، أثر العمارة الاحتلالية في تحول الممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية ضمن القصور العتيقة، دراسة حالة مدينة بسكرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2019م.

2- أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث (1838-1871)، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2014م.

3- بن الحاج جلول لزرق، الممارسات الطقوسية في ضريح سيدي أمحمد بن حودة "بغيليزان"، مقاربة انثر وبيولوجية، مذكرة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2011م.

4- بوجردة مخلوف، الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان، رسالة ماجستير، قسم القانون، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م.

5- بوخليفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة " الزيبان"، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2017م.

6- جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني(1772-1837م / 1185-1253هـ)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة2، 2012 م.

7- حورية طبعة، السياسية الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020م.

8- خليفة عبد القادر، تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية (دراسة سوسيو أنثروبولجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2011م.

9- رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844م-1962 م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر02، بوزريعة، 2012م.

10- رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.

11- زاير عبد القادر، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010م.

12- سعيدة شين، التصورات الاجتماعية للطب الشعبي دراسة ميدانية في منطقة الزيبان، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2015م.

13- شهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2009م.

14- عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1849م- 1859م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011 م.

15- عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2017م.

16- عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، (سيدي بلعباس- الجزائر)،2020م.

17- عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيين الإداريين في إقليم الشرق الجزائري أرنست مارسيه نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م.

18- لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصاتها ومسارها)، 1914م-1956م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله، 2017م.

19- مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962م، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2018م.

20- مريم مضاوي بن شيخة، دراسة ومقارنة بين كفاءة الأداء الحراري لروزنة المسكن الفردي العتيق والحديث، دراسة حالة مدينة بسكرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2019م.

21- موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900،1939)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م.

رابعا: قائمة المجلات والجرائد.

1-المجلات:

1- إبراهيم مياسي، احتلال بسكرة 1844م، **المجلة الخلدونية**، ع2، 2003، جامعة الجزائر.

2- إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848م، **مجلة الدراسات التاريخية، ع** 08، جامعة الجزائر02.

3- إبراهيم مياسي، خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان، **المجلة الخلدونية**، ع3، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ".

4- أحمد حمومي، التراث الشعبي والمسرح الجزائري، **مجلة إنسانيات**، 21-26 ديسمبر 2000.

5- أسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، **مجلة دراسات نفسية وتربوية**، ع07، جامعة قاصدي مرباح، (ورقلة -الجزائر)،2011م.

6- الأمير بوغدادة، دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13هـ/ 19م، **مجلة علوم الإنسان و**المجتمع، ع1، جوان 2015، جامعة بسكرة.

7- أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الغربيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي ام تصوير تخيلي، **مجلة الدراسات،** ع 02، ديسمبر 2012م.

8- بيرم كمال، توسع الإحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية (تقرير مخطوط الضابطان بورالborel، وهيربيون_herbillon1849)، **مجلة البحوث التاريخية،** ع 01، مارس 2017، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

9-تلمساني يوسف، التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان، **مجلة المصادر**، ع 22، جامعة الجزائر.

10- جمعة بن زروال، المجتمع في منطقة غسيرة وأحمر خدو من خلال قانون سيناتوس كونسيلت 1836م (دراسة تحليلية إحصائية نقدية)، **مجلة الإحياء**، مج 19، ع22، سبتمبر 2019م، جامعة باتنة.

11- حنيفي هيلالي، الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني، **مجلة كان التاريخية**، السنة الثانية عشر، ع 46، ديسمبر 2019م.

12- دردوني سليم، دور التراث الثقافي الأمادي الجزائري في التنمية المستدامة وصناعة السياحة الخيمة فضاء لحفظ الموروث الثقافي استحضار القيم البدوية، **مجلة تراث الزيبان**، ع 02، 2019م.

13- سليم كرام، الشيخ عبد الحفيظ الخنقي (فارس مقاومة الكرامة في وادي براز)، **المجلة الخلدونية**، ع 03، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ ".

14- عاشور سرقمة، تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى الصحراء الجزائرية نموذجا، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع15،2011م.

15- عبد القادر قوبع، التعليم العربي الحر بالجنوب الجزائري منطقة الزيبان أنموذجا 1920-1954، **مجلة دراسات تاريخية**، مج 8، ع1، جامعة زيان عاشور، (الجلفة- الجزائر) 2010م.

16- العربي بلعزوز، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849 على ضوء الكتابات الأجنبية، **مجلة العصور الجديدة**، مج 8، ع 1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ماي 2018م.

17- علجية مقديش، الطريقة الدرقاوية في الجزائر مفهومها ومواقفها من الاحتلال الأجنبي، **مجلة التراث**، ع 25.

18- فوزي مصمودي، خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان، **المجلة الخلدونية**، ع 03، 2004، بسكرة.

19- //، أسباب فشل ثورة الزعاطشة، **المجلة الخلدونية**، ع 03، عدد خاص، الملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ ".

20- //، معركة مشونش ببسكرة 1844م الخالدة، **المجلة الخلدونية** (المقاومة الشعبية ببسكرة)، ع03، 2004م، بسكرة.

21- لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية اتجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان 1830م-1844م، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع05، ديسمبر 2017، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

22- محمد الصغير سويسي، ثورة الزعاطشة (دوافع وأسباب الفشل)، **المجلة الخلدونية**، ع03، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني" بسكرة عبر التاريخ ".

23- محمد العيد مطمر، الغزو والاحتلال للاوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844-1884)، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع 10، جامعة محمد خيضر بسكرة، نوفمبر 2006م.

24- محمد ختاني، شهادات حية حول تاريخ المسرح بسكرة، **المجلة الخلدونية** ع 05، (بسكرة-الجزائر).

25- الهادي فاتح، قراءة نقدية للنصوص المعمارية للأحياء القديمة في بسكرة، **المجلة الخلدونية**، ع2000،01م.

26- يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، **مجلة الثقافة**، ع 80، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1981.

2-**الجرائد:**

1) جريدة الحق، ع 4، 28 ماي 1926، المطبعة الصحراوية، (بسكرة – الجزائر).

2) عبد الحق مواقي، من المساجد الأثرية بمنطقة طولقة، جريدة البصائر، ع 16،11نوفمبر 2020م.

خامسا: المعاجم والموسوعات.

1-المعاجم:

1-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت،1980م.

2-كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19م (شخصيات-أماكن -أحداث – معارك)، ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، (قسنطينة – الجزائر)،2020م.

2-الموسوعات.

1- بن نعيمة عبد المجيد، بن معمر أحمد، موسوعة أعلام الجزائر 1830م-1945م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007.

2- المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، موسوعة أعلام الجزائر1830م- م1954، طبعة وزارة المجاهدين، 2007 م.

سادسا: قائمة المقالات.

1- طاهر عبد الحليم، حماية المنشآت المعمارية من التخريب والهدم وصيانتها (منشات صالح باي بالشرق الجزائري 1772م-1792م نموذجا)، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.س.ن).

2- يوسف بن حسين خنفر، العلامة محمد الصغير الأخضري البسكري " حياته آثاره"، جامعة ورقلة، (د.س.ن).

سابعا: قائمة الملتقيات.

1- الأخضر رحموني، "حاضرتا مشونش وبانيان درتان في عقد حضارة الزاب الشرقي"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

2- سعدي شخوم، "صورة بسكرة في كتابات الرحالة الأنجلوسكسونيين نهاية القرن19م وبداية القرن العشرين"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

3- سليم كرام، "رحلة في سحر بسكرة اواخر القرن التاسع عشر ميلادي برؤية الرحالة الفرنسي Félix Hautfort قراءة في كتاب في موطن النخيل بسكرة"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

4- سليمة بودخانة، "بسكرة في عيون الفرنسيين معلما في الكتابات ومدار للرحلات"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

5- سليمة دردوني، "دور الخيمة كموروث ثقافي في رسم ملامح الأنا والهوية والعلاقة مع الآخر، دراسة أنثروبولجية جنوب الأوراس والزيبان"، **أشغال الملتقى الثالث حول الهوية والتراث في ظل العولمة انتماء أم انكفاء**، مطبعة مزوار، (الوادي – الجزائر)، 2011م.

6- الصالح بن سالم، "بسكرة وواحاتها بعيون فرنسية –ألمانية خلال القرن 19 م دراسة ماسكوري ومالتسان أنموذجا"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية، 2018م.

7- الطيب كريم، "بلدة خنقة سيدي ناجي حاضرة من حواضر الزاب الشرقي"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،**

دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

8-عباس كحول، "حواضر وبلدات جبل أحمر خدو"سيدي مصمودي ومزيرعة وتاجموت"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،** دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

9- عبد العالي يعقوب، "بلدة أوماش حاضرة تقاوم الطبيعة والنسيان"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،** دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017م.

10- عبد القادر رحيم، "الشعر الشعبي والمقاومة في منطقة سيدي خالد الشاعر محمد بن قيطون -أنموذجا"، **محاضرات ضمن فعاليات الندوة الوطنية الشعبية و المقاومة الشعبية،** المتحف يوم 10 ديسمبر 2012م.

11- عبد القادر صيد، "بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،** دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

12- عبد القادر عزام عوادي، "بسكرة من خلال مذكرات الرحالة الفرنسي هنري دوفريه"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين،** دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

13- العيد قيداد، "حواضر لها تاريخ (فوغالة، العامري، الدوسن)"، **(الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،** دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية،2017م.

14- فوزي مصمودي، "أضواء على تاريخ الحركة المسرحية ببسكرة من 1926-1954م"، **الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ) منطقة الزيبان 1919م-1962م في الحركة الوطنية والثورة التحريرية،** متحف المجاهد الولاية التاريخية السادسة العقيد محمد شعباني، أيام 26 ،27 ،28، 29 مارس 2013، الجمعية الخلدونية،2016 م.

15- محمد العربي حرز الله، حاضرة منطقة أولاد جلال،"من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان "، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،** دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017 م.

16- محمد بوشنافي، "بسكرة في نهاية القرن التاسع عشر من خلال رحلة الفرنسي L'Abbé Jean Hurabielle"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ)**

بسكرة بعيون الرحالة الغربيين، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر 2015م ، الجمعية الخلدونية،2018م.

17- محمد قويدري، "بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفارو ليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد"، **الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

18- محمد قويدري، "قراءة في كتاب (ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا) للرحالة هاينريش مالتسان"، **محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام22، 23، 24 ديسمبر 2015م، الجمعية الخلدونية،2018م.

19- مقاومة الصادق بلحاج 1858م، **الملتقى الوطني الثاني حول "المقاومات الشعبية بمنطقة الزيبان**، يومي 30-31 ماي 2015، المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني، بسكرة.

ثامنا: قائمة المقابلات.

1- مقابلة شخصية، زهرة عون(1929 العامرة)، بزريبة حامد، بتاريخ 10 جوان 2021م.

2- مقابلة شخصية، علي أفرن (31 جانفي 1931 تاجموت)، زريبة الوادي، 15 أفريل 2021م.

ثالثا: قائمة المصادر و المراجع الاجنبية:

أ-باللغة الفرنسية:

1- Abdelhamid Zerdoum, Les français a Biskra 1844-1962, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, Alger 1998.

2- Alfred Baraudon, Algérie et Tunisie récits de voyage et études, librairie Plon, paris, 1893.

3- Bouaziz Ben Gana, le Chekh el Arabe, étude historique sur la famille Ben Gana, Alger, 1930.

4- Emmanuel Mallebay, Guide pratique de Biskra et de ses environs, Batna, Amand Beun libraire-éditeur, 1892.

5- Eugene Dumas, Sahara Algérien…, paris, 1845.

6- Fanon Narcisse, le livre d'or de l'Algérie, challanet et Cie éditeur Algérienne et colonial, paris, 1884.

7- Félix Hautfort, Au pays des palmes Biskra, 1897.

8- Gouverement Général de l'Algérie, les territoires du sud de l'Algérie, Alger, première partie.1922.

9- Gouverement Général de l'Algérie, tabheau Général au 30 septembre 1884 descommunes de plein exercice mixte et des trois départemments de l'Algérie, Fantana, Alger, 1884.

10- Houdas octave, Ethnographie, elclerc, paris.

11- L'Abbé Jean Hurabielle (ancien secrétaire du cardinal Lavigerie), Au pays du bleu. Biskra et les oasis environnantes. Paris, Augustin Challamel, Eduteur, 1899.

12- M. W, Hilton-Simpson, Among the hillfolk of Algeria (journeys among the shawia of the aurés mountains), London T. fisher Unwin Ltd-1921.

13- M.Bounard, le cardinal Lavigerie, T1, de Gigord librairie poussielgues, Paris, 1898.

14- M.CH. Lutaud, exposé de la situation générale des territoires sud de L'Algérie, 1913.

15- //, situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les Années 1907 et 1908, imprimerie – libraire – Editeur, Alger

16- //, situation générale des territoires du sud de L'Algérie pendant l'année 1913, imprimrimerie – libraire - Editeur, Alger, 1914.

17- M.Dervaux, Le musée social Biskra, ville de luxe, contre de Tourisme, Etape pour la traversée du Sahara, N9, septembre, 1932, p287.

18- M.V. Largeau, Le Sahara Algérien 1874-1878, dessins i médits Biskra-Touggourt-Rhadamés- Le souf-Ouargla.

19- Marcel Mommarché, Les Gvides, Blaus illustrés constantine-biskra, Elkatra-Timgad, touggourt, Aliprerie Hachette, paris, 1923.

20- Marc Cote, guide d'Algérie Paysage et patrimoine, édition Media – media – plus, Constantine ,2006.

21- Maurice Antoine Bernard, les chemins de fer Algériens, éditeur, Adolphe Jourde, place du gouvernent, 1913.

22- Niel Odilon, Géographie de l'Algérie, Ta, Imprimerie d'agenda 1876.

23- Pélissier (R de), Annales Algérinnes, T 3(Dumaine, paris :1854.

24- Rivére thérèse, Aures, Algérie1935-1936, Edutions de la maison des sciences de l'homme, paris, 1987.

25- Typographie-Adolphe Jourdan-imprimeur-libraire-édition-place du gouvernement, Alger, 1914.

26- Yacono (X), Peut on évaluer la population de L'Agerie vers 1830, R.A 1954.

ب- باللغة الانجليزية:

1- S.H, Leeder, The desert gate.Biskra and therabouts, London, 1910.

الملخص:

تعالج هذه الدراسة مظاهر الحياة اليومية في منطقة الزيبان خلال الفترة 1844-1954م، والتي كانت خلالها المنطقة خاضعة للاحتلال الفرنسي، حيث تركز على مظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتحاول ربط مظاهر تلك الحياة بالبيئة الطبيعية للمنطقة، والتي هي جزء من الصحراء الشمالية الشرقية للجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحاول هذه الدراسة رصد التأثيرات التي حدثت على حياة المجتمع في المنطقة بفعل الاحتلال الفرنسي الذي مكث في المنطقة طويلا.

الكلمات المفتاحية: الزيبان، فترة الاحتلال الفرنسي، الحياة اليومية، الحياة الاقتصادية، الحياة الاجتماعية، الحياة الثقافية.

Abstract:

This study deals with the daily manifestation of life in the Ziban region during the period 1844-1954, during which the region was under French occupation. It focuses on economic, social and cultural manifestations and attempts to link the manifestations of that lafe to the natural environment of the region, which is part of the northeastern Sahara of Algeria. On the one hand, the study attempts to monitor the effect on the life of society in the region caused by the long French occupation.

Keywords: Zeban, French occupation, daily life, economic life, social life, cultural life.